يوميا: الإنسان والتطور
الإصدار الإلكتروني
1
2007

كتابة كاملة
الجزء الثاني

النشرة الأسبوعية
سبتمبر 2007

النص البشري في سوائه و إضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات سبتمبر 2007

المجلد 2، الجزء 1 – أسبوع 4، سبتمبر 2007
إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

النـــص البشـــري فـــي سوائـــــه و إضطرابـــــه

... قـــــراءة مـن منظـــور تطـــوري

بروفســـــور يحيـــى الرخـــاوي

أسبوعيـــات سبتمبـــر 2007

الفهـــــــــــرس

السبـــت 2007-09-01:
1- عـــودٌ علـى بـــدء، ثم نـــرى 4
الأحـــد 2007-09-02:
2- .... أعلَى جبال الخوفِ لا تُـنْجِى الجبانَ من الغرقْ 6
الإثـنيـن 2007-09-03:
3- .. نستعمل الـواقع، لا نستسلم لـه، ونظل نـرفضه حتى نغيّره،!! 10
الـثلاثـاء 2007-09-04:
4- يـا خبـر !!! لعلـه خيـراً! 12
الإربعاء 2007-09-05:
5- اختبار ذاتى (استبار) لأستاذ بكلية الطب 17
الخميـــس 2007-09-06:
6-الـورطة .. (أُكْمِلْ .. أم أتـوقَف؟) 21
الجمعـــة 2007-09-07:
7- بـــدال مـا تـثـــور تفِـــنَ 25
السبـــت 2007-09-08:
8-.... دستور يـا الـدستور (تـانى مرة) 28
الأحـــد 2007-09-09:
9- زكى نجيب محمود – و"الـشرق الـفنـان" (1) 33
الإثـنيـن 2007-09-10:
10- الـشرق الأوسط : تـلفيـق خطـر (2) 37
الـثلاثـاء 2007-09-11:
11- "المجرمـون أوْلى بـالمواجهـــة" 42
الإربعاء 2007-09-12:
12- لماذا أكتب؟ لمن؟ وماذا بعد؟ 45
الخميـــس 2007-09-13:
13-.. الخوف الإبداعى .. والرعب المُجَمَّدْ 47
الجمعـــة 2007-09-14:
14- "لعبـــة الخـــــوف" (1) 52

السبـــت 2007-09-15:
15-.. لعبـــة الخـــوف (2) 55
الأحـــد 2007-09-16:
16-حركية "الأسطورة الذاتية" نحو المطلق 60
الإثنيـن 2007-09-17:
17-الدعوة عامة، والبداية مع نجيب محفوظ...!! 66
الثلاثاء 2007-09-18:
18- مع الناس.. فى رحابه تعالى 69
الإربعاء 2007-09-19:
19- رسالة عمرها 21 عاما- بعد لقاء عابر 72
الخميـــس 2007-09-20:
20- قراءة فى "أحلام فترة النقاهة" (1) 74
الجمعـــة 2007-09-21:
21- بريـــد/حـــوار الجمعة 79
السبـــت 2007-09-22:
22- بريد/حوار الجمعة (يوم السبت) بقية 85
الأحـــد 2007-09-23:
23- "بعض" وصف "بعض" مصر!!! 2007 (1) 97
الإثنيـن 2007-09-24:
24- بعض وصف "بعض" مصر !!! 2007 (2) 104
الثلاثاء 2007-09-25:
25- بعض وصف "بعض" مصر !!! 2007 (3) 107
الإربعاء 2007-09-26:
26- تعرية زيف واغتراب التواصل بين البشر: (بالإبداع أو المرض) 112
الخميـــس 2007-09-27:
27- فى شرف صحبة نجيب محفوظ (1) 117
الجمعـــة 2007-09-28:
28- بريد/حوار الجمعة 125
السبـــت 2007-09-29:
29-إبداع الشخص العادى، وإبداع المرأة !! 135
الأحـــد 2007-09-30:
30-الصوفية والفطرة والتركيب البشرى 138

السبـــــــت 22-09-2007

22- بريـــد/حـــــوار الجمعـــــة (يوم السبـــت) بقيـــة

امتد بنا بريد/ حوار أمس، برغم قلة عدد المحاورين، حتى احتلّ "يومية" اليوم، ولابد أن نجد مخرجا آخر إذا ما زاد العدد، مع أننى – والحق يقال – وجدت فى هذا الحوار فائدة ونبضا لم أشعر بهما وأنا أكتب ابتداءً مقالا أو رأيا.

وبداية: أكرر اعتذارى لما فقد منى هنا وهناك، وللترتيب العشوائى الذى سوف أرتب به حوار اليوم، ثم الظلم الذى يقع على المحاور (المراسل) الضيف الذى نحاوره بلا حوار، فقط أنبه على أولوية هذا الضيف الكريم الذى قد يجد أننا اقتطفنا منه ما شوَّه رأيه أو خرج به إلى غير ما كان يريد، أولويته فى مواصلة الحوار لاحقا بالتصحيح أو بالرد أو بالاحتجاج.

ثم هيا إلى ما تبقى

أولا: محمد كامل (43 سنة) (2007-7-9)

(فى تعليق على مقالة "نستعمل الواقع، لا نستسلم له")

... كل جملة أريد أن أعلق عليها أوراقا وأحبارا، والله نأمل فى غد أفضل وجيل أفضل لهذه البلاد ..... إلخ

د. يحيى:

... أرسلت لك أيها العزيز ما استطعت من ردود بشكل شخصى مباشر لعلها وصلتك، وبها ما تيسر لى من آراء شاكرة مقدرة، واسمح لى أن أعبر عن احترامى لك واختلافى معك أحيانا، كما أشكرك بشكل خاص على مثابرتك وتشجعيك.

ثم أنى أتصور – لفرط كرمك وانتظامك فى الكتابة والتعليق – أن كل الردود التى رددتها أمس واليوم هى تخصك شخصيا بشكل أو بآخر.

محمد كامل (2007-9-8)

"... وأظن أن ليس هناك فلاسفة فى أوربا، وان كان فهم متوارون خلف عولمة الأفكار التى عمت العالم كله. الفيلسوف كائن من نوع آخر يعيش فى عالم غير عالمنا وهذا العالم ليس له وجود الآن.

ليتنى قرأت زكى نجيب محمود حتى يكون ردى أو تعليقى ليس فقيرا.

د. يحيى:

إسمح لى ألا أوافقك، ففرص الإبداع التى تولدّ فلاسفة فى أوربا والعالم أكبر بكثير جدا مما عندنا، وأحسب أن الفلسفة الآن تنتعش ليس بإفراز فلاسفة جدد، وهذا وراد، وإنما بتفعيل دورها فى الفعل اليومى من جهة (وهذا عكس قولك: الفيلسوف كائن من نوع آخر، يعيش فى عالم غير عالمنا .. إلخ)، ثم إن الفلسفة الآن تحاول التوفيق بينها وبين العلوم الأحدث وخاصة العلم المعرفى، والعلم المعرفى العصبى، وعلوم الشواش والتركيبة، والطبيعة الحديثة، والرياضة الحديثة، وأيضا مع التصوف (الإبداعى المعرفى) الذى تنازلنا عن حقنا فيه مع أننى أتصور أنه ثروة فلسفية بلا حدود، وقد تتاح الفرصة لنا هنا مع استمرار "البث والحوار" لتفصيل مفيد فى هذا الشأن.

ثم إنى شخصيا لم أقرأ كل أعمال المرحوم أستاذنا زكى نجيب محمود، وأخشى أن يؤخذ رأيى العابر على أنه انتقاص من قدره أو دوره، وسوف أحاول أن أنفى هذه الشبهة إذا ما أتيحت الفرصة.

****

محمد كامل: (9-11)

(تعليق مطول على مقالة "المجرمون أولى بالمواجهة"، يتحفظ فيه الصديق محمد على شكى فى دور المخابرات الأمريكية فى أحداث 9-11)

د. يحيى:

ردّا على تحفظك على التشكيك فى دور مخابرات الولايات المتحدة فى أحداث 9/11، وأيضا على استشهادك بأن بن لادن نسب هذا العمل إلى رجاله، أفيدك أننى أحترم هذا الرأى واسمح لنفسى بالتحفظ عليه دون رفض مطلق، ويبدو أن علىّ أن أوضح ما لم يتضح فى المقال وهو أننى لا أتمادى كثيرا فى تبرئة بن لادن، فهو الوجه الآخر للسيد دبليو بوش وهما ومن إليهما يمثلون شرا واحد، لكن بوش أخطر على البشر لأنه يملك قوى الدمار الشامل المشروع وغير المشروع معا، وعلى عينك يا تاجر (أعنى يا قاتل).

محمد كامل: (9-19)

فى تعليق على مقالة " رسالة عمرها 31 عاما – بعد لقاء عابر"

.. أثناء قراءتي لهذا الخطاب المفعم بالعاطفه (تبينت كيف أنه) واضح جدا تأثرك بهذا الشخص بسبب روحي، وهو ما قد استشعرته انا و أحببته و اجللته، وقد جاء شخص واحد في بالي اعتبرت انه خير مثال، و أنه الرجل الاكثر أهميه في تصوير و تمثيل فكر خطابك وهو الاستاذ عمرو خالد.

لا أعرف ما هو رأيك في تجربة عمرو خالد في إصلاح مفاهيم الامة، أرجو ان تثير مخيلتي بحديثك النهم.

د. يحيى:

عزيزى الصديق محمد. أرجو أن تقبل اعتذارى عن إبداء رأيي تفصيلا فى الإبن عمرو خالد، فأنا لم اتابع نشاطه الأحدث فالأحدث والذى عُددته فى خطابك (ولم أنشره هنا لطوله) وخاصة حواره مع مفيد فوزى فى إحدى الفضائيات، وأعتقد أنه ظاهرة إيجابية بمعنى محدود، وأن تجاوزاته (ويمكن دعوة الصديق المشارك فى هذا الحوار الابن **د. زكى سالم** للإسهام فى ذلك فقد لمحت له رأيا مهما فى عدد قريب فى الدستور) وربما يذكرنى نشاط عمرو الإيجابى بمحاولات د. مصطفى محمود الحالمة للتفسير العلمى للقرآن، وكلاهما جعل بعض مقولات الإسلام - خاصة للشباب - أبسط وأقرب، **فبدا الإسلام من ناحية أكثر علمانية، ومن ناحية أخرى أكثر رشاقة وشبابية**، وأنا ليس عندى اعتراض لا على حسن النية، ولا على استقطاب الشباب إلى إيمان هم فى أشد الحاجة إليه، بديلا عن اندفاعت واحتمالات أخرى، لكن لا، ليس هكذا، ولا هذا هو غاية المراد.

للأمانة لابد أن أعترف أن للأمور - عندى -جانب آخر، نقدا وتحفظا وقد حاولت من قبل تفسير **"ظاهرة عمرو خالد"** (وليس شخصه) وخاصة فى بداية ظهورها، وقد كتبت عنها ما أتوقع أنك لا توافقنى عليه أصلا فى الوفد **"المغزى السياسى لظاهرة عمرو خالد"**، ولم أتراجع كثيرا عن رأيي، وإن دعوت له ولى بالتوفيق والمغفرة معا.

ربما نكون فى أشد الحاجة إلى هذا المستوى للدفاع عن الدين وتسويق إيجابيات الإيمان، لكن السقف الذى يضعونا تحته سواء بالتفسير العلمى الاختزالى لنص ملهم مضئ، أم بالترويج العاطفى الحالم لدين يدعو للكدح والإبداع بلا نهاية، هذا أو ذاك هو أقل بكثير من الحاجة المعاصرة لإسهام الإسلام بالاختراقات الإبداعية إيمانيا، والتى علينا أن نعرف كيف نكتشفها لننهل منها ظاهرها وباطنها معا، مما تجلى خاصة فى عطاء وخبرات متصوفينا الذين أهملناهم، أو تنكرنا لهم، بل كفّرنا بعضهم قديما وحديثا (على فكرة أنا لا يعجبنى تصنيفى أحيانا متصوفا ما فائدة التصنيف أصلا خاصة فيما لا أدعيه).

****

ثانيا: د. أسامة عرفة (2007-9-16)

د. أسامة: التعليق على **مقالى (الخوف)** (14-9 / 15-9)

عذرا مازالت تعليقاتى شخصية لكن هذا هو المتاح لى الآن.

د. يحيى:

وهل هناك يا أسامة شئ غير شخصى، المهم ألا يكون الشخصى على حساب العام، **الأغانى التى أوجهها للأطفال (داخلنا فى الأغلب)** انتهت إحداها بقولى

... كل واحد هوّه نفسُهْ

بس نفسه هيّا برضه كلنا

مالى وعيه بربنا

المهم .. هات ما عندك وهو شخصى لنجعله عاما "معا".

د. أسامة:

أنا زهقت من الخوف .. الخوف عَلَى والخوف مِنْ، أكاد أرفض الخوف رغم موضوعيته وروعته الوظيفية وأيضا أرفض التهور

تلك المنطقة بين **الخوف والتهور**، ماذا تكون بعيدا عن **التعقل والجمود**

د. يحيى:

بعيد عن الجمود نعم، أما التعقل فلم يصلنى ما تقصد به تحديدا، وعموما معظم التعقل الذى عانيته فى نفسى وفى غيرى كان هو الطريق السرى إلى الجمود، ماذا تضيف هنا بالله عليك فى هذا، دعنى أتساءل معك

د. أسامة:

فلنسميها التحفز .. إذا أنا متحفز

د. يحيى:

إقرارك بموضوعية الخوف هو البداية، سواء كان "الخوف مِنْ"، أو "الخوف عَلَىَ"، وتنبهك للفرق بين رفض الخوف والتهور (التهلكة) شديد الأهمية ولكن من الذى يستطيع أن يحسمها بأمانة؟ المبررات بلا حدود - أرجو إلا تستدرج لوضع تعريفات جيدة جدا، لكنها قد تكون مجرد تعريفات أوفقك على التحفز ... ولكن ....

د. أسامة:

ولكنى أتساءل متحفز لماذا، مشكلة لو الواحد فضل متحفز وبس

د. يحيى:

ربنا يخليك، صعّبتها .. وحذرتنا معاً، إلى متى نظل فى وضع ستاند باى هذا؟؟.

د. أسامة: التاريخ 17-9

التعليق على... **مقال"حركية الأسطورة الذاتية نحو المطلق".....**

كثيرا ما أتامل اللحظة الأخيرة قبل الموت إذا ما انتبهت على أني لم أحقق ماظللت أحلم به أو أن ما حققته لم يكن ما كان ينبغي (إن صح التعبير بعد ما تحقق) لا أستطيع تخيل حجم الألم حينها، و ما إن كان الموت سيريحنى منه أم يزيده ربما تكون القناعة بأن ما تحقق إلى الآن هو نهاية للمطاف ربما تتجدد كل لحظة أفضل من الحلم بالآتي الذي ربما لا يأتي، ربما الأهم و الفاصل هو اتجاه مؤشر الحركة بصرف النظر عن محطة الوصول أو اللا وصول الحمد لله .. أستغفر الله

د. يحيى:

شكراً أسامة لمتابعتك,

أظن مسألة "الموت" وليس مجرد "اللحظة التى قبل الموت" هى المسألة الأهم برغم سطحية تناولها، واغتراب متناوليها، ولا أحسب أنها لحظة "مؤلمة" بالمعنى الذى ذكرت، كما لا أظن أن الموت راحة (بمعنى السكون أو السكوت).

شغلتنى هذه المسألة طول عمرى – طبعا – لكن تركز الانشغال بها فى العشر سنوات الأخيرة ليس لأننى أقترب منه بما يعلنهُ عمرى، أو ربما لأننى أقترب منه، من يدرى؟

الوعى بالموت يا أسامة هو الذى يعطى للحياة معنى. النظر فى إشكالة الموت ارتبط عندى بدعوة لفحص العلاقة بين الوعى الخاص والوعى الكونى نحو الله... وهذا أمر يطول شرحه قد أرجع له وأنا أكتب "مقتطف وموقف" من كتاب مترجم (حوالى 400 صفحة) اسمه "الموت والوجود"، طبعاً لم أحلّ المشكلة، هذا غير وراد، وربما هو غير جائز، ثم إنها من المشاكل التى تكمن روعتها فى أنها غير قابلة للحل أصلاً، خصوصاً الحل الوعظى المتعجل، لكن المحاولة مستمرة وهذا هو ما سيحاسبنا الله عليه: علينا أن نستعد لأسئلته عن: متى توقفنا ؟ ولماذا؟ وهل توقفنا قبل أن يقرر سبحانه لحظة النهاية، فَمِتنَا قبل أن نموت؟ أم أننا نسعى منتظرين أوامره تعالى؟ فلنستعد للإجابة معا، وكلّ على حدة.

رمضان كريم

****

التاريخ 17-9-2007

د. أسامة:

(تعليقا على افتقادى التعليق والمشاركة فى مقال "الدعوة عامة" حين تساءلت .. "إيه الحكاية"؟ حكاية عدم ورود تعليقات كافية.

د. أسامة:

"... ربما هو الصمت فى بداية الجروب (المجموعة) ربما زى نسبة الحضور للإدلاء بالأصوات فى صناديق الانتخابات صبراً مولانا.

د. يحيى:

عندك حق يا شيخ، يبدو أنى أتعجّل، ثم أنى حين بدأت الرد أمس واليوم فوجئت بكل تلك التعقيبات التى استغرقت كل هذه المساحة، ولكن دعنا نقدم للناس (الذين لا يعرفون العلاج الجمعى (الجروب) معلومة هى: أن الجلسة التى تبلغ 90 دقيقة تبدأ أحيانا بصمت "مفعم" (كما يقول صلاح عبد الصبور) قد يطول إلى عشرين دقيقة، وقد تتم فيه حوارات أروع من الكلام، أما التشبيه بالعزوف عن الانتخابات فهذا صمت موضوعى ... آخر، له دلالته أيضا، لا محل لمناقشتها هنا.

أما دعوتك للصبر يا أسامة فطبعا هذا أمر لا مفر منه، وهل تعرف عنى غير ذلك؟ على ألا يكون صبر **الانتظار، وإنما صبر "الشحن"..**

د. أسامة:

أقترح إضافة باب أسبوعى عن الواقع اليومى فى مصر، إن جاز لمثلى أن يطلب ذلك، لا يكون نقدا أو كلاما إنما تحت بند "ماذا بعد" .. مصر "ماذا بعد"؟

وإن كنت على يقين أن الحكاية كلها ليست مصر فقط، إذْ ماذا بعدً ضِمْن الإنسانية كلها، ماذا بعد؟

د. يحيى:

أرجو أن تقرأ ردى على الابن مصطفى حسين لاحقا بشأن اقتراحه عن "الواقع اليومى". أنا أتصور أن ذلك واجب فعلا، لكن هناك من يقوم به بشكل آخر، وبقية اقتراحك "ماذا بعد الناس كلها" هو ما نحاوله فعلا هنا والآن، أليس كذلك؟

د. أسامة: تعقيبا على رسالة عمرها 21 (يوم 18-9)

عذرا والدى، الرسالة عمرها 31 سنة وليس 21 ولكنها رسالة لكل العصور، وأقصد العصور الشبيهة بعصرنا، التى تواجه تحدٍّ يحتاج من قرن إلى قرنين لإحداث ما ينبغى كما ينبغى

لكن هل يكفى جهد الأفراد المتوازى ربما فى البدايا فقط والتى قد تستغرق ما يزيد عن النصف؟

د. يحيى:

شكرا لتصحيح التاريخ، وهذا ربما يعطى قيمة أكبر للرسالة ..، عندى تحفظ على تعبير "الموازى" .. فهل تسمح بإضافة، "المتكثف/الضام" معاً مهما كان متوازيا فى رؤيتنا اللحظية الآن.

د. أسامة:

سُنسْأل أمام الله سبحانه وتعالى

هل أنكرنا الظلم ايا كان لونه او جنسه أو دينه؟
هل رغبنا العدل؟
هل دعونا لإقامة العدل؟
هل سعينا لإقامة العدل؟
التغيير مسئولية جماعية فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم سلبا أو أيجابا؟

د. يحيى:

ردّ طيب، ولنتذكر أن العُدل وليس "العادل" هو اسم الله

مصطفى حسن (43 سنة)

مصطفى: (9-7-2007) تعليق على مقالة "الورطة (أكمل ..أم أتوقف)

"... ثم أنتهز هذه الفرصة لأهنئك أولا بهذا المنحنى الجديد .... إلخ"

".. وأعرج إلى الاحساس بالوحدة - ما تبدد منها وانكسر، وما زاد منها ولم ينكسر - لأقول لك إننى لا أستغرب وحدتك كما أننى آلفها فى نفسى وفيمن حولى فى زماننا الحالى، بل إن العزلة - فى رأيي - قد تكون شعار كل من لديه بعضا من إبداع ما"

د. يحيى:

يصلنى يا مصطفى (لأنى أعرفك ابنا متدربا يقظا ماهرا) حماسك بشكل يقلقنى أحيانا، أفرح به وأتحفظ عليه، ولا أوافقك على أن العزلة قد تكون شعار من لديه بعضا من الإبداع.

فمن ناحية: العزلة غير الوحدة، ومن ناحية أخرى لا العزلة ولا الوحدة ينبغى أن تكون شعارا، ومن ناحية ثالثة: فأنا انتمى - كما تعرف - لفرض يقول **إن كل إنسان هو مبدع دون استثناء**، وقد صدر لى مؤخرا كتاب **"جدلية الوجود وحركية الإبداع"** تجده فى الموقع فيه شرح مسهب لهذه القضية فى فصل جدلية الجنون والإبداع.

الوحدة (التى ليست مرادفة للعزلة) يا مصطفى، هى طور من أطوار وجودنا فى نبض حيوى متصل، نحن ننسحب لننطلق، أما وحدتى التى أشرت إليها فى المقال فأرجو أن تقرأ ردى عليها فى حوارى مع أسماء أمس، وأذكرك بقول "وينكت" الرائع ان من أروع مراحل النضج أن تكون "وحيداً - مع" to be alone with، ".." ورطتى الحالية يا مصطفى هى ما زنقت نفسى هنا هكذا.

مصطفى:

".. لا أحسب نفسى متفلسفا حين أقول **"أنا فى ورطة إذن أنا موجود"**

د. يحيى:

أوافقك من حيث المبدأ، وإن كانت الورطة غير اللخمة غير الخيرة غير "تحمل الغموض"، ولهذا حديث آخر، فلا نفرح كثيرا بالورطة فى ذاتها، إلا أن نحاول أن نخترقها إلى ورطات أكثر دفعاً.

مصطفى: (2007-9-10)

".. وعلى كل من يعتقد أنه صاحب رسالة ما فى الحياة – أو هكذا قدَرَه الفعلى – أن يستمر فى إرسال رسالته مع تحديث طريقة الإرسال على الموجة المناسبة لضمان وصولها للأشخاص المعنيين".

د. يحيى:

لا أخفى عليك يا مصطفى أننى لا أعتقد اننى صاحب رسالة ولا يحزنون، وإن كنت لا أستطيع أن أنكر ذلك، فمن خبرتى مع مرضاى ونفسى انتهيت إلى تصديق كويلهو فى ساحر الصحراء، وجوزيف كامبل فى سلطان الأسطورة، أن كل واحد له أسطورته الخاصة ويمكنك أن ترجع إلى يومية **"حركية الأسطورة الذاتية" (2007-9-16)** ففيه هذا المعنى أكثر تفصيلا، وأعتقد أن الأسطورة الذاتية تحمل من بين معالمها "الرسالة الذاتية" التى تكمن بداخلنا منذ الولادة وتلح علينا لتوصليها لأصحابها بمسئوليه حملها أمانة، فانظر معى مدى شطارتنا البشعة فى إجهاضها بشكل أو بآخر.

مصطفى: (2007-9-9)

تعليق على مقالة "الشرق الأوسط/ زكى نجيب محمود"

"... لا شك فى أن الدكتور زكى نجيب محمود من أبرز المفكرين فى العصر الحديث"،

".. إن الحديث عن زكى نجيب محمود كفيلسوف لم يأخذ حقه الإعلامى فى مصر والعالم العربى"

د. يحيى:

واحدة واحدة يا مصطفى، "من أبرز المفكرين فى العصر الحديث!! "لو قلت المفكرين العرب أو المصريين لكان قولك أكثر قبولا لى برغم تحفظى حتى على ذلك، ولعلمك أنا لا أنكر فضله طبعا"

مصطفى:

".. أن تركيز المفكرين على مفاهيم من نوعية "الشرق – أوسطية" واحد من عمليات الموالفة لاستيعاب التزواج بين الحضارات المختلفة".

د. يحيى:

لا يا شيخ!! .. الفرق بين التوليف (الموالفة) والتلفيق

يصل أحيانا للفرق بين العمليات التى أسميها "قص ولزق" وبين الجدل الخلاّق، والتفرقة ضرورية وتبدو أحيانا صعبة، وقد بينت هذا فى نقدى **لكتاب الشرق الفنان** حتى بالغت، ويمكنك أن تعيد قراءته فى أرشيف هذه اليوميات يا أخى وفيه **أغلب مخاوفى.**

مصطفى:

".. ما أود أن ألتقى به فى باب "يوميا: الإنسان والتطور" قد يكون أبسط من ذلك بكثير، وذلك فيما يتعلق بتناولكم للهموم اليومية للإنسان المصرى بشكل خاص، فى ضوء ما يعيشه من مجريات أحداث يومية ضاغطة، الله عز وجل هو الأعلم بمداها".

د. يحيى:

أنا لم الزم نفسى هنا بالهموم اليومية بوجه خاص، حيث أنى أشعر أنها مهمة يقوم بها غيرى أفضل، ومع ذلك فأنا لا أضعها جانبا أبدا، لكننى ألاحظ أن تكرار اجترارها تناولها بالكلام مع استمرار تفاقمها وزيادتها هو بعيد عن الموضوعية (ربما)، كما أننى لا أتعمد التطرق إلى القضايا "المجعلصة"، راجع مجلة الإنسان والتطور إن شئت وكل **أعدادها فى الموقع** وخاصة افتتاحية العدد الأول يناير 1980، وأيضا المقال الأول فى نفس العدد لتعرف طبيعة ما نهتم به، دون البعد عن الهموم اليومية.

مصطفى:

".. أرجو أن يتسع صدرك للرأى الآخر كما عودتنا"

د. يحيى:

حاضر يا مصطفى، كما "أرجو أن يتسع أنت ايضا صدرك للرأى الآخر"

****

ردود سريعة موجزة إيمان حسن الصباغ (2007-7-18)

أولا أود أن اشكر كل من ساهم فى إعداد هذا الموقع، إذا سمحت لى يا دكتور يحيى أن اعتبر حضرتك بمثابة الاب الذى نستشيره فى بعض الأمور فأنا فتاة ....." إلخ

د. يحيى:

عزيزتى إيمان:
"آسف يا ابنتى، واسمحى لى أن أبين للجميع عن طريق أسفى هذا، أن الردود الطبية الخاصة، والشخصية ليست ضمن أولويات هذه الزاوية للأسف. نحن نتحاور هنا فى هذه القضايا العامة وقد سَمِع فى حياتنا الخاصة، وفقك الله إلى خير السبل للإجابة على أسئلتك .. بالسلامة"

****

د. مى الرخاوى (2007-7-16) **(تعليق على يومية : لعبة الخوف)**

أبى: "اقتبس لعبتك عن الخوف لأمارسها مع أطفالى بالمركز فهم يشاركونى ألعاباً كثيرة من التى تعلمتها منك، لكنى أعتقد أن ما وصلنى من المقالتين يجب أن أستخدمه لأبنائى وبناتى بنفس الألفاظ. شكراً".

د. يحيى:

"أنا الذى أشكرك يا مَنْ .. ربنا يخليك وينفع بك، بناتك وأبنائك وهم فى تكاثر مضطرد، أنت ابنتى من ظهرى، وفرحتى بما تفعلين، وإفادتك هكذا مما أقدمه للناس كافة، تطمئننى أنك ابنتى بمعنى أشمل. الحمد لله.

****

د. زكى سالم

كم أسعدنى أن تخصص يوم الخميس لنجيب محفوظ ربنا يوفقك

د. يحيى:

عزيزى د. زكى ("زكىَ" هكذا أفضل)
شكرا لاستمرار تشجيعك.
لعلك لاحظت أنك مدعو مثل كل من كتبوا فى مجلة الإنسان والتطور - ومن ترى من أصدقاء جدد، للنشر فى ركن "المحررون والضيوف - الإنسان والتطور"، وهو الموجود فى الموقع على جانب من هذه اليومية، ويعتبر الشكل الالكترونى للمجلة ولعلك تعلم كم أنى آمل أن يكون امتدادا للمجلة التى أحببتَها وأسهمتَ فيها.

كما أرجو أن يكون قد وصلك... خاصة بعد قراءتك موضوع اليوم الخميس 20 سبتمبر، كبداية لـــ "دورية نقد محفوظ الأسبوعية"، وصلك أنك بالذات مدعو للاسهام فى هذه الدورية، ربما بما يلى:

أولا: نقد ما أجتهد فيه أنا شخصيا إذا سمح وقتك ووجدت ما يستأهل.

ثانيا: نقد ما نشر عن شيخنا سابقا أو لاحقا (نقدا أو قذفا ولا مؤاخذه، مثل ما ألمحت إليه فى كلمتك فى الدستور أمس).

ثالثا: ما ترى وتقترح غير ذلك.
هذا بالإضافة إلى أنى آمل أن تجد أنت والمريدون فرصة لتسجيل ما رصدتْ ذاكرتنا أو أوراقنا من جوانب صحبتنا له، مما يمكن أن يتجمع بهدوء، لعله ينير بعض جوانب هذا العالم الزاخر: "نجيب محفوظ" بعد رحيله، (بداهةً: ليس كل ما يصلنا هو قابل للنشر، أمانةً ومسئولية).

أما السادة النقاد "الذين هم" فقد لا يصلهم أصلا ما نحاول، لعله خيرا.

كما ارجو يا زكى يا أخى أن تمر على ما تمّ أمس واليوم من حوارات، ففيها كثير مما يحتاج لإسهامك غير ما خصصناه

لنقد شيخنا بعد أن أعيتنا الحيلة مع الحكومة لإصدار هذه الدورية يا شيخ.

شكرا وربنا يخليك ولا يحرمنا منك.

د. سناء:

(تعليق بالانجليزية) **على قصيدة " بدال ما يثور يفنّ"**

د. يحيى:

التعليق بالانجليزية، وانا أعرف كثيرا من الشباب لا يكتب على حاسوبه إلا بالانجليزية، وأنا لا أرفض ذلك لكنى أتحفظ عليه، وقد كدت أنشر نصه بالانجليزية لأنه أثلجنى، لكن التعليق فيه كثير من الثناء الطيب الذى منه مثلا: (شكرا لأنك متفتح على أفكارك ووجدانك وأحيانا ضعفك) - طمأنتنى يا سناء رؤيتك هذه لما أفعله، وما أحاوله، كما طمأنتنى أن ما يصل إلى الناس، هو أكبر مما أتصور، الناس ياسناء وليس فقط تلاميذى وأبنائى وبناتى فى المهنة.

****

رامى عادل: (.....)

د. يحيى:

خطاباته يا رامى كلها "... حماس، وإخلاص، وتقدير وطيبة وعواطف جياشة، إلى أن قلت: فماذا نفعل لنجعل للتواصل عمق؟ ماذا نفعل إذا لم نجد الآخر؟ اعذرنى يا رامى يا إبنى، فقد غمرتَنى بتعليقاتك الساخنة الآملة المتدفقة، وأنا إذْ أشكرك، أرجو أن تسامحنى وانت تقرأ نوع الحوار الذى يمكن أن تعم فائدته على الآخرين ثم إنى اقتطفت جملتك السابقة لأن عندى عليها تعليق كالآتى:

المسألة ليست تعليمات نفعلها أو لا نفعلها حتى نجعل للتواصل عمقا ومعنى، المسألة أننا نساهم فى تطوير نوعية الحياة التى نحياها معاً، وأن نعمق التواصل فيما بيننا عن طريق يجمعنا معاً: من الناس إلى الكون إلى الله ، وليس عن طريق ما يلهينا فى بعضنا ينتظر كل منا ما ليس عند الآخر بإلحاح أعمى .. ولنا عودة، وهذه هى يومية الغد إن شاء الله التواصل بين البشر!

****

محمد أحمد الرخاوى: (2007-9-7) تعليق على مقالة : **"يا خبر لعله خير"**

د. محمد:

الوعى الذى أقصده هو فتح المنافذ بين كل ما هو داخل وكل ما هو خارج ثم تحمل المعرفة والألم، ثم احترام الضعف دون الاستسلام له إلا مرحليا، ثم الوثوق بصحبة مبدع الوجود فى الاتجاه منه وإليه كل من تثقل عليه الأمانة فيأبى إلا أن يحملها فهو واع.

أرى أن أزمة الانسان الحالية هى فى رفضه لحمل الأمانة فهى شرف وجوده، غرور وغباء العلم والمال فيما يسمى العالم الأول لا يضاهيه إلا غرور وغباء التجمد الميت لظاهر الأديان فى العالم الثانى إلى العاشر.

إذن ماذا؟

ليس عندى أمل فى بقاء "عكس الانقراض" إلا اذا تحرك الوعى الجمعى لبنى آدم يصحبه العمل الجمعى (وليس الجماعى) إلى حتم التوجه إلى حمل الأمانة.

قال سيدنا نوح، **"رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارا"** والكفر هنا هو فى رفض حمل الأمانة مع سيدنا نوح وإلا فالمسيرة الحالية هى إلى: **"إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ".**

د. يحيى:

بصراحة يا محمد كنت أود أن أنشر الرد الخاص الذى أرسلته لك، والذى ذكرت فيه أن علىّ أن أرد لك حقك علانية حتى لا يصدق علىّ المثل القائل " تشتمنى فى شارع وتصالحنى فى عطفة"، ومع ذلك لن أفعل حتى لا تبدو المسألة "عائلية" أكثر من اللازم؟ أما عن تساؤلك هذا، فأحسب أن ظهور هذه المساحة اليومية وغيرها مما هو أهم منها آلاف المرات هو بعض الإجابة على سؤالك، إن لم نقتصر على تبادل الألفاظ، كلامك صعب لكنه وصلنى، فهل تشرح أكثر؟

محمد أحمد الرخاوى:

... أعنى التفاعل الآنى الجدلى بين ما ينمو إلى السطح - بعد الكشف - من تأكيد المعنى بقداسة طلاقة الحق، لم أقصد "كل" بمعنى اختزال الكدح الحتمى للوصول إلى تجليات كل طبقات وتنويعات الوعى فى رحلة جدلية تكاملية تبدأ من الله مبدع الوجود ولا تنتهى عنده، فهو لم يبدع الوجود إلا لنبدعه معه إليه إذا صَدَقْنا.

د. يحيى:

ياليتنى ما سألتك، تصورتُ أنك سوف تسهلها، لكنه كلام جاد أيضا، وهو كلام مهم، لكننى متحفظ على إمكانية توصيله وتوظيفه، وأصر على محكات لقياسه على أرض الواقع بشكل أو بآخر، أنا أقبله بحذر شديد، وأفرح بنهاية الفقرة فرحا هائلا حين تقول **".. فهو "سبحانه" لم يبدع الوجود إلا لنبدعه معه إليه إذا صدقنا"**

ياليت
هيا بنا
"عالبركة"!!

الأحـــــــــد 23-09-2007

23- "بعـــــض" وصـــــف "بعـــــض" مصـــــــر!!! 2007

من أهم ما استفدته من ورطة هذه اليومية أنى اكتشفت بعض مشروعاتى المجهضة أو قل البادئة، أو الناقصة. كلما قلبت فى أوراقى وجدت ما يستأهل أن يحتل مكانا هنا (مثل انطباعات من 31 عاما يومية **"مع الناس فى رحابه"**، 18 يومية **"رسالة عمرها 21 عاما - بعد لقاء عابر"** 19 الجارى)، أو فى حاسوبى: أجد مشاريع كتب بأكملها فى الطب وغير الطب، قلت أنتهز الفرصة، وأثبتها هنا، فأذكّـــر نفسى، ومن يهمه الأمر، بهذه أوتلك، ربما يأتى من يهتم بها بعد أن يأذن الله فى أمرى، ويجد فيها ما يستأهل النشر أو البحث أو الإتمام أو ما شاء وشاء الله.

من أهم ما عثرت عليه فى حاسوبى مشروع كتاب استكتبه إياى رجل فاضل كريم (اعتبرته شابا لأن أباه ما زال شابا وهو (الأب) الأستاذ محمد سلماوى) ، ودار النشر هى "دارالشروق"، وما أدراك ما دار الشروق، من ذا الذى لا يتمنى أن تنشر له هذه الدار القوية العريقة المنتشرة القادرة العابرة للقارات؟ !!! كان المفروض أن أفرح خاصة وأننى لا أجد من ينشر لى أصلا (وكان هذا من أهم ما دفعنى أن أصمم هذا الموقع)، ولا أخفى أننى فرحت فعلا، واستمهلت الداعى الكريم أن يعطينى وقتا كافيا، فقال لى خذ راحتك، لكننا نريد الكتاب بعنوان هام وهو "ماذا حدث للمصريين ؟"، وقال كلاما طيبا فى ما أستطيعه فى هذا الصدد، هو الذى قال لى "خذ راحتك"، ويا ليته ما قالها، أى والله، لاننى حين آخذ راحتى لا أنتهى أبدا، ليس لأننى "مبسوط كه، أو مرتاح كده " (مثل إبراهيم سعفان فى الدبور)، ولكن لأننى لا أنجز عملا إلا والسيف على رقبتى فعلا، سيف الوعد، أو سيف الواجب العاجل مثل ورطة هذه اليومية. المهم أن الداعى الكريم لم يلح علىّ، فظللت مستمرا فى أخذ راحتى، ثم فكرت فى تحايل فلاحى كالتالى : قلت إننى لست روائيا، وما كتبت ثلاثيتى إلا لوصف " ماذا حدث للمصريين ويحدث"، وقد صدر منها جزءان من ربع قرن **"الجزء الأول الواقعة - الجزء الثانى مدرسة العراة"**، ونالا التقدير من الدولة تقديرا رسميا، و الجزء الثالث أتممته بعد ربع قرن بعنوان: **"ملحمة الرحيل والعود"**، قلت لنفسى، أستعبط، وأرسل له ما تيسر من كل هذا لنرى.

كلفت الرسول إليه بعد أن يبلغه تحياتى!!، أننى – بعد تأخرى عليه – تصورت أن هذه الثلاثية تجيب جزئيا عن جانب مما حدث للمصريين، وأنه لو تفضل بنشرها (خاصة وأننى نشرت الجزأين الأولين على حسابى فلم يقرأهما أحد برغم تقدير الدولة) أو حتى يمكن أن يكتفى بنشر الجزء الثالث (الذى سيصدر هذه الأيام فى مكتبة الأسرة أخيرا)، فذهب الرسول وعاد ليبلغنى رد التحية، واعتذاره، وإصراره على أن أكتب ما طلب **"ماذا حدث للمصريين"**، فشكرته وواصلت أخذ راحتى، حتى نسيت الأمر برمته.

ثم إذا بى أعثر اليوم على عناصر الكتاب وأنا أقلب حاسوبى باحثا عن كلمة يومية لتلك الورطة الرائعة، فوجدت أننى كتبت مقدمة، وبعض الفصل الأول، وعناصر لكل الفصول، فرأيت أن أستشيركم فى الأمر بأن أنشر ماكيت "تخطيط" هذا المشروع مع وقف التنفيذ دون أى تعديل هكذا :

بعض وصف "بعض" مصر !!! 2007

ماذا يجرى فى بر مصر ؟ إلى أين؟

استهلال

بعد أن كتبت المقدمة المطولة، التى أصبح أغلبها هو الفصل الأول، عرضتها على من أثق فى مشورتهم، فإذا بهم ينبهوننى أن مثل هذه الأحلام تحتاج إلى "مؤسسة، (بكامل هيئتها/هيئاتها) إن كان للكتاب أن يتم كما تمنيت، كما نصحنى بعضهم أن الأفضل لى أن أخصص ما تبقى لى من وقت (وعمر) لكتابة ما بلغنى من تخصصى (الطب النفسى)، لن يهمه الأمر من زملائى وطلبتى، الأمر الذى قد يحتاج أضعاف عمرى السابق واللاحق (إن كان ثمة بقية).

احترمت هذه الملاحظات وعدلت تماما.

ثم بدون سبب جديد، قررت فجأة ، مع سبق الإصرار والترصد، أن أقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه مَنْ قبلى، مع تعديل بسيط فى العنوان ليقتصر هذا العمل على ثلاثة فصول، الفصل الأول والثالث، أجمع فيهما ما تيسر مما كتبته عما **"يحدث"** أكثر مما هو عن **"ماذا حدث"**، والفصل الثالث: هو ما تخيلته أنه **"ينبغى أن يحدث"**، أو آمل أن يحدث (كتبت أغلبه على هيئة "مقال فى قصة" فى الدستور)، أما الفصل الثانى، فسوف أخصصه لبعض تفاصيل نقد ما يقع فى يدى من كتب فى هذا الشأن.

مقدمة

منذ استكتبنى سلماوى الصغير (مدير النشر فى دار الشروق) منذ أكثر من عامين لأكتب عما حدث للمصريين فى العقود الأخيرة حتى مؤتمر أدباء مصر فى سوهاج (نوفمبر 2006) وكان موضوعه المحورى هو نفس الموضوع، (ماذا حدث للمصريين) وأنا فى حيرة لم تهدأ أبدا، ثم وقع فى يدى كتاب لشاب مصرى بعنوان **"شكلها باظت"** ، فأفقت فجأة لأواجه بالتحدى الحقيقى والواجب الملح. لملمت نفسى، واحترمت شباب الكاتب وذكاءه، كما رفضت فرط سخريته وغلواءه، ثم قلت: ليس هكذا "جدا"،(مش كده قوى) مع أننا نحتاج أن ننصت لهؤلاء الشباب مهما سطحوا، وكان علىّ أن أتراجع عن رفضى، وأتوقف عن أخذ راحتى، وهأنذا أحاول تخطيط ما يمكن.

جمعت ما وقع تحت يدى، فوجدتنى قرأت (وخططت، أى: شخبطت ودوّرت) حول أغلب صفحات معظم ما وجدته فى مكتبتى حول هذا الموضوع : من أول ثلاثية د. جلال أمين: "ماذا حدث للمصريين فى نصف قرن؟"، "وصف مصر فى نهاية القرن العشرين؟"، وأيضا "عصر الجماهير الخفيرة"، حتى قاموس: "روش طحن" لياسر حماية ثم الكتاب الأخير السالف الذكر لعمر طاهر (شكلها باظت). مرورا بما قد ترد الإشارة إليه فى فصول الكتاب (إنْ ظَهْر!) مثل ما كتبته د. عزة عزت أو د. عبد الباسط عبد المعطى.

وجدت ما يلى

1- إن **أغلب** محتوى ما وقع فى يدى لا يفى بعنوانه، الذى يبدو أكثر جاذبية فى صيغة التساؤل عن "ماذا حدث ...(وهو ما يقابل قولنا بالعامية المصرية "هوه جرى إيه بالظبط؟).

كانت معظم الإجابات عن السؤال تبدأ من الماضى (بالتحسر عليه غالبا) ثم تبدو وكأنها تنتهى إلى الحاضر بشكل أو بآخر، ثم تتفضل فتشير بألفاظ آمِلَةْ، أو خطابية عالية، إلى ما يلوح فى المستقبل وكلام من هذا. ونحن أحوج ما نكون إلى النظر "فيما يجرى"، أكثر من النظر "فيما جرى" (دع جانبا حكاية نتعلم من الماضى، ***فالتعلم هو فى الحاضر جدا، ... حتى لو كان من الماضى***، وهو أمر لا نمارسه غالبا).

2- إن أغلب العناوين تصف "مصر" أو "المصريين" أو "الشخصية المصرية"، هكذا "خبط لزق" دون تحديد المكان، أو الزمان، أو العينة، أو الظروف، أو الطبقة المعينة، أو المنهج.

(هذا ما يتردد فى العنوان دائما، وفى المحتوى كثيرا).

3- حين قدمت ورقتى فى مؤتمر أدباء مصر فى سوهاج ، وكان مطلوبا منى أن أتكلم تحت نفس العنوان ("ماذا حدث للمصريين. إلخ")، بدأت برد يملؤنى يقينا برغم أنه بدا كالفكاهة أنه **"إيش عرفنى"**؟ (أعنى إيش عرفنى ماذا حدث للمصريين؟") ثم شرحت وجهة نظرى التى أعود إليها هنا حالا.

4- لاحظت أن أكثر الكتابات تميل إلى البكاء على الماضى، والحسرة على ما آل إليه الحال **(أقول "أكثر"، وليس "كل"...)**

5- عديد من الكتابات كانت تجميع مقالات كتبها الكاتب مشكورا فى مناسبات بذاتها، لها دلالاتها طبعا، ولكننى كثيرا ما افتقدت ربط هذه الدلالة فى تلك المناسبة "بما حدث للمصريين (عموم القطر، عموم الزمن المحدد (نصف قرن مثلا) أو الزمن المطلق مع الإحالة إلى جمال حمدان كثيرا !!!)

6- غلبت السيرة الذاتية على عدد من الكتابات، بما تشمل من انطباعات تأملية، عابرة أو ممتدة، خاصة فى كتابات د. جلال أمين على سلاستها وجاذبيتها وصدقها.

7- لا يعدم القارئ أن ينتبه إلى عديد من الإسقاطات (خاصة فى كتابات الشباب) سواء كان الإسقاط لمثلبة أم لمزية.

8- اقتصرت بعض الكتابات على عينة محدودة بلغت عشرة من الشباب أحيانا، مثل مبحث الدكتورة نادية رضوان، (خمسة ذكور، وخمسة إناث: من سنة 1984 - 1989 - 1994) الذى تميز دون غيره بالتتبع لمدة عشر سنوات (فحص نفس العينة الصغيرة كل خمس سنوات)، وهذا ما غاب فى كل ما وقع تحت نظرى غير هذا البحث الجيد برغم ما من قصور حتمى جدا مع ذلك.

9- لم يخل الأمر، بل تواتر، من إعلان موقف اخلاقى، توفيقى، خافت، فى كثير من الأحيان

10- بدت لى معظم الحلول (أو الآمال أو التوجهات) التى خرج بها معظم أصحاب هذه الأعمال اقرب إلى :

أ- التسوية (الحلوسط)
ب- التفكير الآمل
ت- المفاخرة بالماضى (بشكل مباشر أو غير مباشر، كأنه الحل)
ث- التثوير العاجز (أو المثالى)
ج- التمييع الغامض
ح- التفكه، أو السخرية، أو كليهما

11- غلبت السببية الحتمية (الخطية الأحادية على تفسير "ما حدث" للمصريين) فى كثير من الأحيان، من أول غياب القيم، وتراجع التدين، وفساد الثوار، والانفتاح السداح مداح، وضعف التعليم، وغياب القدوة، ..إلخ، ولم تصلنى أية مبالغة فى هذا التعليل أو ذاك، لكن ما ألفت النظر إليه هو أحادية النظرة، (سبب واحد أو أكثر قليلا لكل ظاهرة أو لكل الظواهر)، ثم تعليل خطى مباشر (هذا السبب بالذات هو الذى أدّى إلى تلك النتيجة تحديدا).

12- هناك عادة تناسب عكسى بين الحتمية السببية - ما ورد فى بند 11- والحتمية الغائية وقد تكون غلبة الحتمية السببية التبريرية أحيانا هى السبب فى ندرة التوجه الغائى الأهم، مع أنه هو الذى يشير إلى السبيل إلى بعض التصحيحات الضرورية أو التوصيات الواعدة للمستقبل.

13- لم أجد للأمانة غلبة لنبرة الفخر بقدماء المصريين، وإن غلبت فى الكتابات النزعة الأخلاقية والوعظية، ذكر بعض مآثر السلف الصالح مع المبالغة.

العنوان الحالى

ثم أتوقف عن التمادى فى الملاحظات لأعلن أننى سألت نفسى عقب كل هذا النقد القاسى لما مررت به استعدادا للكتابة: هلى أنا أستطيع ألا أقع فى مثل هذا أو ذاك، لو أننى قبلت تناول نفس الموضوع، بنفس العنوان؟ أجبت على نفسى بالنفى، أى أننى لن أملك إلا أن أكرر ما نبهت على ضرورة تجنبه، فكان المخرج فى البداية، هو الاعتذار عن عدم الكتابة (فأخذت راحتى إلا قليلا):

ذلك أنى حين هممت بالعودة إلى الكتابة قبولا للتحدى، ووفاء بالدين، حضرنى العنوان الحالى بما يحتاج إلى مزيد من إيضاح

1) إذا ما أكملت هذا العمل مهما بلغ حجمه ، فلن يعدو إلا أن يكون **"بعض الوصف" لـــ "بعض مصر"**، (طولا وعرضا) لا أكثر (لا مصر، ولا المصريين).

2) أرجح أن تركيزى سوف يتزايد على **"ما يجرى" لا "ما جرى"**

3) سوف أحاول، وربما أنجح فى أن اشير إلى **دلالة ما يجرى**، أكثر من البحث عن أسبابه ووضع اللوم ، والنعابة.

4) الذى أنا متأكد منه هو أننى لن أجيب عن التساؤل الأهم إجابة وافية، ولا حتى جزئية، وهو التساؤل الذى يقول: **إلى أين**؟ ذلك أن هذا يتوقف على ما نفعله الآن، لا ما نقوله أو حتى ما نرصده، **ليس فقط فى مصر، ولكن فى العالم كما سيأتى ذكره.**

5) ثم يأتى التساؤل الأصعب الذى لم أذكره أصلا وعمدا وهو: **إذن ماذا**؟ الأمر الذى أتصور أننى لن أتخلى عن التعرض له كلما أمكن ذلك، لكننى أعلم تماما أننى عاجز عن التصدى له، ربما للأمانة، **إلا فيما يخصنى فردا.**

بداية الفصل الأول
مشروع كتاب لن يتم أبدا

هذا الفصل هو بقية المقدمة التى كانت تمثل المشروع الأصلى لكتابة هذا الكتاب.

المصادر

حتى يمكن تجنب بعض ما أشرت إليه سالفا فى نقدى للكتابات السابقة، لا مفر من تحديد المصادر (وليس المراجع التى ذكر بعضها فى المقدمة) التى سوف أعتمد عليها فى رص الملاحظات ومن ثم : التأملات، كل على حدة، مع التحذير بإلحاح ممل من التعميم، فقد تنفع كل ملاحظة، فى ما يناسب مصدرها، أو قد يمتد نفعها أكثر قليلا، أو حسب التساهيل، لكن أبدا لن تكون قاعدة، وبالتالى يستحيل - مرة أخرى- التعميم.

وفيما يلى أحاول أن أبين ما أتصوره مصادر رؤيتى بعد حوالى ثلاثة أرباع قرن - 74 عاما- من التواجد على هذه الأرض الطيبة، منها نصف قرن بالتمام وأنا أمارس هذه المهنة الخاصة، بالطريقة التى اخترتها أو اختارتنى، وفيما يلى أهم مصادر تأملاتى وآرائى وفكرى ووصفى:

1. **من الخبرة الشخصية** الحياتية الممتدة (متضمنة بعض السيرة الذاتية، التى سجلتُ بعضها فى عمل أقرب إلى "أدب الرحلات"

2. **من المرضى**، وهم مصريون فى الأغلب، مع وضعى فى الاعتبار خطورة التعميم من المرضى إلى الأصحاء، الأمر الذى اعتبر نقدا شديدا لبعض نظريات سيجموند فرويد، إلا أننى مع فرويد ضد ناقديه لأسباب سوف أذكرها فى حينها (لأن المرضى لا يكشفون إلا الطبيعة البشرية التى يخفيها الأصحاء أو قل "العاديون" عن أنفسهم وعن البحث!!!)

3- **من أهل المرضى**، باعتبارهم أصحاء أو "عاديون"، تخفيفا لما أخذ تحفظا على المصدر السابق

4. **من خبرات العلاج**، وخاصة العلاج الجمعى على مستويين: المستوى المجانى بقصر العينى، والمستوى الخاص المدفوع الأجر فيما عدا ذلك، وقد وجدت أنه فى تعدد هذه المستويات ما يفيد المقارنة أحيانا، ومن ثم سبر غور أكثر من مستوى من طبقاتنا الاجتماعية/الاقتصادية التى أصبح يمثل كل منها شعبا مستقلا.

5. **من المدمنين**، وهم فئة خاصة، لا تسمى مرضى بالضرورة، وإن كانوا كذلك، لكنهم يمثلون ثقافة خاصة فيما يجرى (أكثر من تمثيلهم **ثقافة "ما جرى"**). ثقافة الإدمان فى مصر (وغير مصر) هى ثقافة متكاملة تقول عما يجرى ربما أكثر من ثقافة المثقفين الأسوياء أو المرضى المتفسخين أو المتقوقعين.

6. **من نقد الدراسات** السابقة كلما لزم الأمر.

7. **من نفد الإبداع** الأدبى مع التحذيرات الواجبة للتفرقة، بين واقع الإبداع، وواقع الحال.

8. من اللقاءات والحوارات الصحفية والإعلامية التى أجريتها طوال هذه السنوات، فى حدود انتقائية محدودة

9. **من برامج كاشفة** أعدتها وشاركنى فيها أسوياء أغلبهم مصريون طيبون، لا يمثلون مصر بالضرورة، لكن أغلبهم مصريون، وهى برامج كانت تهدف إلى كشف ما هو بعد ظاهر السلوك، برامج أسهمت فى تعرية مستوى من وعى ناسنا (وغير ناسنا) أكثر من مجرد التصرف الظاهرى، أو ما نعتقده عن أنفسنا (بالذات: برنامج **"سر اللعبة"**، قناة النيل الثقافية الذى امتد لأكثر من عام، وبرنامج **"اقلب الصفحة"** فى قناة MBC الذى شغل حيز أحد الرمضانات)

10. مما يستجد من مصادر لا أعرفها حالا

.....

[وفيما يلى تصور للخطوط العامة التى يمكن أن يسير عليها العمل فى الفصول التالية:

.....

أتوقف هنا لأن الفصول بعناصرها استغرقت أكثر من عشرين صفحة (الفهرس) فهل ترى – عزيزى قارئ هذه اليومية – أن أعرض عليك العناصر غدا،

ربما ينتهى الأمر إلى أن تكون أنت مصدرا متفردا جديدا بين كل هذه المصادر السالفة الذكر؟

ولتطمئن عزيزى القارئ، فهذا العمل هكذا، لن يتم أبدا.

فدنا ننشر عناصره لعلها تكون "جدول أعمال" هذه اليومية.

لست متأكدا إن كنت سافعلها (نشر العناصر) غدا أم لا.

فإلى الغد دعنا نرى.

(أعتذر عن تأجيل موضوع "التواصل البشرى" الذى وعدت بنشره أمس، وسوف ينشر بعد غد غالبا)

- (فيها بعض التكرار لما قدمت به هذه اليومية ، وقد تعمدت تركه كما هو لأطرح ما عثرت عليه دون تعديل ، عذرا)

- أ. عمر طاهر (شكلها باظت) دار أطلس للنشر - 2005

- د. جلال أمين (ماذا حدث للمصريين فى نصف قرن) سلسلة كتاب الهلال (دار الهلال) يناير 1998

- د. جلال أمين (وصف مصر فى نهاية القرن العشرين) دار الشروق - 2000

- د. جلال أمين (عصر الجماهير الغفيرة) دار الشروق 2003. (لم أذكر كتابه الأخير عن سيرته الذاتية لأننى لم أقرأه، ولان كل تلك الكتب كانتبالنسبة لى جزءا من سيرته الذاتية)

- أ. ياسر حماية (قاموس روش طحن ج1، ج2) دار الحسام للنشر - 2004

- د. عزة عزت (التحولات فى الشخصية المصرية) كتاب الهلال أكتوبر 2000

- د. عبد الباسط عبد المعطى (التدين والإبداع فى مصر)، مكتبة الأسرة 2001

- من العجب، وفضلهم وفضل الله أنهم شرّفونى برئاسة هذا المؤتمر ، لست أدرى كيف أو لماذا !!

رجب البنا : مصر فى المرآة: مكتبة الأسرة 2000

-compromise

- الحتمية الغائية تركز على عنى الظاهرة: ماذا تقول؟ ماذا يبلغنا من دلالاتها الآن؟ إلى أين؟..إلخ فى مقابل الحتمية السببية التى تركز على أسباب حدثت فى الماضى عادة ما تكون بارتباط خطى مباشر مختزل

- د. (الترحال الأول: الناس والطريق) (الترحال الثانى: الموت والحنين) (الترحال الثالث: ذكر ما لا ينقال) دار نشر المدينة – عام 2000

الإثنيـــــن 24-09-2007

24-بعـــــض وصـــف "بعـــــض" مصـــر !!! 2007 (2)

أسماء الفصول مع بعض تساؤلات الفصو ل الثلاثة الأولى
(هل تصلح جدول أعمال هذا اللقاء اليومى)

الفصل الأول
مصر: أين هى الآن؟ ماذا هى؟ إلى متى ؟

مصر :هل هى جزء من العالم الحديث والذى يتحدث؟ أم هى أم الدنيا؟ أم هى مهد الحضارة حيث بزغ فجر الضمير؟ أم مقبرة الغزاة؟ أم هى الأزهر الشريف؟ أم مولد موسى عليه السلام ورحلته؟ أم ملجأ عيسى عليه السلام وأرضه؟ أم ماذا ؟ (ستقولون لى كل هذا -استسهالا وفخرا ، ربما - فأقول: "يفتح الله" !!)،

ومع التطور الجارى عبر العالم هل ستذوب مصر فيه فتمحى ككيان مستقل ؟ هل ستتبع؟ هل ستضيف؟ هل ستشارك ؟ .... إلخ (إنتظر مقدمة يعض معالم هذا الفصل غدا بإذن الله)

الفصل الثانى
الدين فى مصر

هل ثم دين واحد أم أديان كثيرة حتى لو حملت نفس الاسم ؟ ماذا عن كل من :

الدين الرسمى؟ والدين الشعبى؟ والدين السلطة؟ و الدين التسكينى (الهروبى)؟ والدين التأجيلى (الهروبى أيضا)؟ والدين الإرهابى؟ والدين الترهيبى؟ ، والدين الإيمانى؟ والدين التصوف الفطرى؟ والدين التصوف الإبداعى؟ والدين/ الإيمان البيولوجى الفطرى (ايضا)؟ والدين الإيمان الجمالى؟ (لم أذكر الدين السياسى، ولا الدين الشبابى الرشيق ولا الدين التفسير العلمى الاختزالى- قاصدا متعمدا مع أننى سأتناولها ، إن قدر لى !!)

الفصل الثالث
الجنس فى مصر

أين موقع هذه الكلمة ""الجنس"" فى وعينا الحاضر وغير الحاضر؟ هل الجنس هو ما يظهر فى النكت الخارجة (وهى شديدة

الدلالة عادة، وأحيانا دلالتها أفضل مما يسمونه – جهلا – مشروع التثقيف الجنسى فى مدراس الغش المعاصر) .

مفهوم الجنس عندنا: ما هى أبعاده ؟ هل نحن نعرفه : بالفطرة؟ أو بالممارسة؟ أو بالتثقيف؟ وأين يقع الجنس للإنسان العصرى؟ هل هو العيب الذى يمارَس فى الظلام؟ أم هو لحفظ النوع؟ أو لرشوة الطرف الآخر؟ ..أو نتاج جانبى لضرورة تربية الأولاد فى أسرة ما؟

ثم خذ عندك بعد الاعتراف بالجهل: ماذا عن التجهيل؟ وماذا عن التشويه؟ ثم الاختزال؟ والإنكار؟ والاغتراب فيه؟ والاغتراب به ؟ والقهر إليه؟ والقهر به؟ وما حكاية الختان التى نشوه بها بناتنا ونساءنا، ونهينهن من خلال قضيته مرتين، ثم نلصق به خيبتنا البليغة؟

ثم أين يقع الجنس من الدين والإيمان والجمال الإبداع؟ بما يشمل: الجنس اللغة، والجنس التواصل، والجنس المعنى، والجنس الشعر، والجنس العبادة، والجنس الحب، والجنس البعث-إعادة الولادة؟؟ (فى مصر !!!!!)

قف:

أكتفى بهذا القدر اليوم، وعندى عن كل فصل مثل ذلك من تساؤلات وعناصر وأكثر،

وغدا أقدم ملامح **مقدمة الفصل الأول:** إثباتا لحسن نيتى، وإبراء لذمتى، وطلبا للمشاركة فى الموافقة على استحالة إتمام هذا العمل حتى بعد إلحاحكم (والنبى تلحو علىّ لو سمحتم !!)

أذكر فيما يلى مجرد عناوين الفصول التى خطرت لى :

الفصل الرابع :التعليم الإلزامى - فى مصر

الفصل الخامس : التعليم التالى - الجامعات والبحث العلمى

الفصل السادس: الإنسان المصرى والعلاقة بـ "الآخر"

الفصل السابع : شباب مصر

الفصل الثامن : الأخلاق فى مصر

الفصل التاسع : المرض (عامة) فى مصر

الفصل العاشر:المرض (النفسى) فى مصر

الفصل الحادى عشر :الثقافة فى مصر

الفصل الثانى عشر:الوعى والمعرفة فى مصر (وعلاقتهما بالعلم والمعلومات وغيرهما)

الفصل الثالث عشر: المرأة المصرية

الفصل الرابع عشر: الطفل المصرى

الفصل الخامس عشر: الأسرة المصرية

الفصل السادس عشر: الواقع المصنوع (المُفَبْرَك)

الفصل السابع عشر: السياسة والاقتصاد فى مصر (لاحظ ورود ذلك فى الآخر!!! يا خبر !!!)

الفصل الثامن عشر :(وأد الإبداع/تسطيح الخيال) فى مصر

الفصل التاسع عشر: (مقالات، ومقابلات، ومواقف: سبق نشرها، وموجودة فى الموقع غالبا)

1) ماذا حدث لقيم المصريين؟
2) مسيو إبراهيم وظهور الإخوان
3) ماذا بعد الزعم باختفاء الطبقة الوسطى؟
4) صبر المصرى
5) انفجار جهاز الأمن، ما بعده؟
6) ماذا طرأ على شباب مصر؟
7) الفجوة والمقاييس
8) شباب مصر أين يقف من التيارات الفكرية؟
9) عن الموت والشباب والحركة السياسية
10) دليل الحاكم الذكى لحكم شعب صبور
11) تعدد الوجوه للشخصية المصرية
12) موال مصرى حزين
13) التفسير السياسى لظاهرة الحجاب
14) الاغتراب على الطريقة المصرية
15) الأسرة المصرية والفروق الثقافية
16) الجان هو الحل

وبعد

بعد قراءة مقدمة الفصل الأول غدا، دعونا نتساءل:

هل يصلح هذا الفهرست ليكون "جدول أعمال هذه الزاوية اليومية ، معا، بشكل أو بآخر، وانشاالله الكتاب ما ظهر، يعنى لو ظهر مهما ظهر، هل سيجد من يقرأه بالجدية المناسبة؟ دعونا نستفيد نحن، وهم أحرار أمام ضمائرهم وربنا، وإلا ماذا ؟ (ولاّ إيه؟).

الثلاثـــــاء 25-09-2007

25-بعـــــض وصـــــف "بعـــــض" مصـــــر !!! 2007 (3)

هذا هو الجزء الثالث والأخير (مؤقتا) من "لمحات من" كتاب لن يصدر أبدا،

يحكى عن ما نحن فيه، والأجزاء الثلاثة حتى الآن بما فيهم هذه

"العينة المقدمة" للفصل الأول (الوهمى) هى ما اقترحت أن يكون "جدول أعمال" هذه المحاولة اليومية، (يوميا: الإنسان والتطور) إلا أن الاستجابات المبدئية كانت معدومة تماما ربما غمرها زخم فيضان العناوين، وازدحام "جدول الأعمال" بالأسئلة دون إجابات. كما خفتت أصوات الحماس الطيبة القليلة التى كانت تأتينى، خفت أو تراجعت.

دعنا نرى بعد هذا الجزء الثالث متى وكيف سوف أتوقف، وأنا أرجع للتساؤل : لمنْ أكتب. وهل أستمر؟

إجابتى الحالية هى: سوف أكتب "لى"، حتى أتوقف.

بعض معالم الفصل الأول
مصر: أين هى الآن؟ ماذا هى؟ إلى متى ؟
(بعض مقدمة الفصل دون متن لاحق)
أين تقع مصر الآن من العالم/ فى العالم (ليس مجرد المقارنة أو المدح والهجاء) ؟

محاولات إزالة الحدود بين الأوطان أخذت عبر التاريخ أشكالا مختلفة ، فكل دين مثلا يضع أول مهمته هداية كل البشر، **وكأن البشر يمكن أن يصبحوا على دين واحد فى العصر القريب أو البعيد،** (راجع هذه الهيجات الفظيعة، والفرحات المقابلة، لتنصير مسلم أو إسلام مسيحى أو ملحد حتى جارودى!!!)، ثم جاءت الشيوعية تدعو إلى **الأممية** بدءا بالنداء الأشهر **"يا عمال العالم اتحدوا"** ثم هذه هى **العولمة** تلعب نفس اللعبة **على أقذر بالقتل الاستباقى والتطهير العرقى والمواثيق الملتبسة والنشاطات الاقتصادية التى أزاحت الحكومات جانبا (عابرة القارات)** ، المحاولة (المحاولات) ممتدة ومزعجة رغم فشلها قديما وحديثا،

فيظهر ما يسمى التعايش الخلاق ، وهو شى طيب، لفظ

رائق، وفكرة جميلة، لكن من يتولى تحقيقها أو السير فى اتجاهها بلجدية الكافية؟

أين تقع مصر فى كل هذا؟
إلى متى سوف تظل مصر هى مصر بمعالمها المتميزة؟
وهل لا بد أن يكون لها معالم متميزة؟
إلى متى "مصر"

إلى الأبد ...، تماما مثلما يظل الشخص هو نفسه إلى أن يموت، مع أنه ينتمى إلى أسرة ومجتمع ووطن ما.
هل يمكن لأى منا أن يصبح ذرة مجهولة بين سائر الناس لمجرد أنه يحبهم جدا جدا، وأن هذا هو المطلوب تحت أى عنوان؟
طبعا لا !!
مرة أخرى أقتطف أغنية الأطفال (داخلنا وخارجنا)
كل واحد يبقى نفسُهُ
بس نفسُهُ هيَـا برضه كلنا،
مالى وعيه بربنا
(سوف أؤجل عرض رأيي فى الشطر الأخير حاليا فهذه قضية جوهرية لا تكفى فيها أية إشارة)

حين نتكلم عن **"بعض وصف بعض مصر"** ، علينا أن نستشرف مستقبل العالم **لنرى مكاننا فيه ونحن نؤكد هويتنا جدا**، وحتى نحقق بعض ذلك، دعونا نحاول الإجابة – أو حتى الوقوف أمام بعض الأسئلة كعينة محدودة، مثلا :

أين يقع العالم فى وعينا الفردى اليومى الآن ؟

المتابع لحركات التواصل بين البشر العاديين حول العالم سوف يدرك مباشرة أن ثمة حاولات متعددة الأطراف تجرى فى كل مكان ، **تضرب مركزية المعلومات ، و سطوة الإعلام المركزى، وحتى التعليم الرسمى الفوقى.** اللامركزية الشعبية تنمو وتتمادى فى كل مكان (ومنها هذا الموقع مثلا) وهى التى تسمح **بحركية فى تبادل الآراء والمواقف (بل والمشاعر عبر العالم)** ، لكنها أيضا **تسمح بتبادل ونشر أفكار شاذة مغتربة، ومواقف متعصبة بلا حدود.**

أي الاتجاهين سوف يغلب ؟
لا أعرف.
لكن مصير الجنس البشرى كله قد يتوقف على هذه النقطة التى تبدو ثانوية فى العصر الحاضر.

انتباه ضرورى:

لا يخفى على أن الدعوة للوعى **بهذه الحركية التواصلية عبر العالم** من حولنا تبدو سخيفة ومرفوضة وعبيثة إذا مرّت على وعى عامل مصرى (أو غير مصرى) كادح لا يجد الخبز "الحاف" لعشاء أولاده، أو قرأها هنا موظف متوسط لا يجد أجر المدرس الخصوصى (مهما زادوا فى مرتبات المدرس العمومى) لابنه إلخ.
هل معنى ذلك أن نسكت ونحجم عن المشاركة حتى يجد هذا العامل ثمن الرغيف؟ (علما بأنه حتى لو وجد ثمنه قد يعجز عن الحصول

عليه لطول الطوابير وقلة العرض) الأمر **ليس فيه "إما أو": إما الحاجات الأساسية أو المشاركة العالمية**، ذلك أنه يوجد عبر العالم شعوبا تجد الحاجات الأساسية، بل والرفاهية الاستهلاكية، ومع ذلك فهى فى نفس المأزق : **التهديد بالانقراض وهى فى أعلى قمة "السعادة اياها"**

حين نحاول أن **"نصف بعض مصر الآن"** علينا أن نبذل الجهد اللازم فى محاولة **التوفيق بين "الهم اليومى، والوعى العام إلى الوعى الكونى"**، ذلك أن الله حين خلقنا لم يخلقنا لنحصل على رغيف العيش وأجر الدرس الخصوصى إلا باعتباره الضرورة الحتمية لمجرد البقاء، ثم بعد ذلك خذ عندك : **تعمير الأرض والسعى إبداعا إلى وجهه.**

بعد تجارب التاريخ الفاشلة والناجحة معا، **لم تعد ثمة حتمية للانتقال التلقائى من مستوى" الضرورة" إلى "مستوى الحرية"** بأى شكل من الأشكال ، كل (أو أغلب) من حقق مستوى الضرورة لم ينتقل إلى مستوى الحرية ، بل سجن نفسه إما فى ضرورات متجددة يغذيها الاستهلاك والاغتراب أو التأجيل حتى يموت، يفعل ذلك وهو يحيط نفسه بسياج من المقدسات المنغلقة ، أو يعشى بصره بزخم من بريق الشعارات "المُطَبْطِبة" البراقة.

حين نتساءل عن وضع مصر الآن ونحن **نصف بعض مصر**، يجدر بنا أن نحدد المحكات التى نقيس بها هذه الإشكالة ، هل نحن – بوعينا الفردى فالجمعى- جزء من البشر مهما كانت الصعوبات، ومهما كان افتقارنا حادا إلى متطلبا الضرورة الحياتية اليومية؟ أم أننا لا نفعل شيئا إلا تكرار أننا "أبناء الحضارة التى هى" أ و ترديد أننا "خير أمة أخرجت للناس" دون أن نتحمل مسئولية هذا وذاك؟

والآن : **كيف نحول أن يكون همنا بكافة البشر ليس خدع' هروبية تلهينا عن حقنا فى العيش الضرورى ، والقدر الكافى من الكرامة والاحترام لنكون بشرا؟**

ثم كيف نحول دون التوقف **عند الضرورى** الذى حتى لو تحقق لوجدنا أنفسنا ندور فى نفس الحلقة، مع تصعيد مستمر لما هو ضرورى؟

كل هذه المقدمة هى تمهيد لتساؤل يقول :

1) إلى أى مدى يشارك المصرى فى زخم الإبداع الضرورى والمتجدد عبر العالم؟

من الإبداع التقنى، والإبداع الدينى إلى الإبداع الإيمان الحقيقى مرورا بالإبداع التشكيلى بما فى ذلك تشكيل الوقت (الموسيقى)، والإبداع المنهجى فى البحث المعرفى؟ دع جانبا حكاية الجوائز العالمية التى يحصل عليها أفراد نابغون نفخر بهم ونتصبر بفضلهم ونشكر لهم عطاءهم، لكن دون أن نقفو آثارهم، أو نحاول أن نكمل مشوارهم؟

إن من يريد أن يساهم فى **وصف بعض مصر** قد يجد نفسه مطالبا بالإجابة على أسئلة أخرى مثل:

2) أى الأجيال عندنا :
- جاهز للتجاوز؟يرغب فى التجاوز؟
- يرضى عن التجاوز؟
- يقدر على التجاوز؟

(هذا إذا ما أدرك معنى التجاوز وضوروته من أصله)

3) هل نحن نعرف كيف يمكن أن نتجنب الالتهام من الأقوى سواء بالتعاون أو بالتجاوز؟

4) هل يشارك شبابنا فى:
- اللحن العالمى الجديد؟
- الوعى العالمى الجديد؟
- الوصْل (التواصل) العالمى الجديد؟

.... بأى قدر؟ وهل يتزايد؟

5) هل ثَمَّ، بديل للثورات التاريخية التى ثبت أنه لا يرثها إلا الانتهازيون والسفاحون الأوغاد الذين استطاعوا أن يتخلصوا من أصحابها ومن منافسيهم على حد سواء؟

6) هل بدأنا؟ مهما كانت البداية متواضعة؟

7) متى نبدأ إن كنا لم نبدأ؟

وبعد

أرجو من قارئ هذه اليومية المتواضعة ألا يتصور أنى أحلم، وإلا ما أضعت وقتى فى هذه الورطة المتزايدة – بين سائر اجتهاداتى.

أنا أكره المثالية جدا، ربنا حين خلقنا خلقنا من طين الأرض لنظل مرتبطين به.

فى نهاية قصيدتى "فى "هجاء البراءة" قلت منغرسا فى الأرض :

جحافلُ البشرْ،
كالدودِ والجذورْ،
تغوص فى اشتياق،
فى الطين والعفنْ.

وفى نهاية ديوانى الأول بالفصحى قلت:

خاتمة
لا..
يا من ترقب لفظى العاجزْ
بعيون الفن المتحذلقْ
أو تفهم روح غنائى
بحساب العلم الأعشي
لا تحسب أنى أكتب شعرا
بخيال العجز الهارب
أو أنى أطفئ ناري
بدموع الدوح الباكى

لا .. لا .. لا.. لا
هذا قدرى
وقديما طرق الباب الموصد شيخ أعرج
فتعارجت
(فليس على أعرج من حرجْ)
فليحترق المعبد
ولتذرُ الريح رماد الأصنام
ولتُسأل نفس ما كسبت
وليُعلن هذا فى كل مكان:
'فشل الحيوان الناطق أن يصبح انسانا'
أو .. .. ..
فلنتطور
إذ يصبح ما ندعوه شعرا
هو عين الأمر الواقع.

أما نهاية ديوانى أغوار النفس، وأعتقد أنه قد سبق لى أن اقتطفتها فى يومية سابقة ، ولا أجد حرجا فى إعادتها بمناسبة عنوان هذا الفصل، قلت أعرّف "مصر" :

دانا لما بابص جوا عيون الناس،
الناس من أيها جنس،
بالاقيها ف كل بلاد الله خلق الله.
وفْ كل كلام ،.. وفْ كل سكات.
واذا شفت الألم، الحب، الرفض، الحزن الفرحه فى عيونهم..
يبقى باشوف مصر.
وباشوفها أكتر لما بابص جواي.
والناس الحلوين اللى عملوا حاجات للناس،
كانوا مصريين !!
"كل واحد همّه ناسه،
كل واحد ربّه واحد،
كل واحد حرّ بينا،
يبقى مصري "
تبقى مصر بتاعتى هى الدنيا ديه كلها،
هى وعد الغيب، وكل الخلق، والحركة اللى تبني
= لأ يا شيخ !!؟
- قلت اصبّر نفسى برضه بكلمتين،
[بس همّا،
بس صح ،
يعنى ! برضه !!]

الإربعـــــــاء 26-09-2007

26- تعريـة زيـــف واغتـــراب التواصـــل بيـن البشـــر

(بـالإبـداع أو المرض)

التـواصل بين البشر على كل المستويات، هو إشكالة مفتوحة متجددة، تماما مثل الوعى والحرية والإرادة، وكلما هممت أن أغوص أكثر فى الطبيعة البشرية وجدت نفسى فى وسط هذه الإشكالة حتى أننى اكتشفت أن الحلم الأول **"نقد نجيب محفوظ" قراءة أحلام النقاهة (1)"** الذى قمت بقراءته نقدا بشكل ما، نقدا لشيخنا نجيب محفوظ "هنا" الخميس الماضى، كان يتعامل مع نفس الإشكالة

ليكن، ولتكن يومية اليوم عن التواصل البشرى بشكل مباشر.

***

التـواصل بين البشر ضرورة وجودية بقائية، ليس فقط لحفظ النوع، وإنما لتأنيس الإنسان تتويجا لمسيرته التطورية الرائعة،

هو ليس اختيارا ثانويا.
الإنسان لا يكون إنسانا إلا إذا تواصل مع إنسان آخر،
" طيبْ"..، والحيوان؟

الحيوان يعيش بشكل جماعى منظم، بغرائز بقائية تصل فى رقتها أحيانا إلى ما يمكن أن يتعلم منه الإنسان، نحن لا نعلم شيئا ذا بال عن الجزء الإرادى فى هذا التعايش "معا ولا عن درجة الوعى بهذا التعايش.

يتميز الانسان – دون سائر الأحياء التى نعرفها – باكتسابه "الوعي" وما يترتب عليه (وبالذات: من الحرية أو الإرادة أو حمل الأمانة أو ماشابه)

التواصل لا يتم من خلال العواطف تماما أو فقط (خصوصا لمن يتعامل مع العواطف والانفعالات على أنها نوع من "الدوافع" أساسا) وإنما هو يتعلق بحركية الوعى كله، بكل مستوياته:

نبدأ بما يميز الإنسان من حيث هو إنسان حتى نتعرف **على بعض إشكالات التواصل الذى يميز الإنسان إنسانا الإنسان هو:**

(1) هو كائن حى يتمتع بالوعى
(2) ويعرف ذلك: يعرف أنه واع (الوعى بالوعى)
(3) ولا يكون إنسانا إلا بحركيّةٍ تربط هذا الوعى المركّب بوعى مركب آخر (إنسان آخر) يحمل نفس المواصفات.

على أى مستوى يتم التواصل بين البشر؟

(خاصة التواصل الثنائى الذى أظهر تجلياته التى تتبدى فيما يسمى: "علاقة حب"، وتقليديا: فى "الزواج"؟)

- هل يتم على مستوى **نفعية العقل المنطق النفعى** (صفقات عقلية أو معقلنة؟ صفقات شريفة أو مشبوهة)؟؟
- أو على مستوى **العواطف والانجذاب المتبادل** (وهو أرقّ ما يوصف به التواصل)؟؟
- أو على مستوى **الحوار الفكرى والنقاش اللفظى**؟
- أو على مستوى **الغرائز والمتعة المنفصلة** (رشوة جنس أو تصبيرة عشق فى انشقاق متبادل)؟
- أو على المستوى **الأخلاقى والدينى:** العطاء والرعاية والمسئولية والعلانية والأوراق؟
- أو على المستوى **القانون والشعارات:** تنظيم المصالح، وحقوق الإنسان، وحقى وحقك، (ومثل هذا الكلام)؟

هذه اسئلة، وليست تصنيفات.
ثم هل يتم هذا التواصل بين إنسان وإنسان(ة) بكل التاريخ الحيوى الذى انتهى به الإنسان ليكون متعددا فى واحد؟ أم يتم بين جزء طافٍ على السطح، وملعونة بقية الأجزاء (= بقية مستويات الوعى)؟

مع تطور المجتمعات ومع تعقد العلاقات تتزايد الصعوبات التى تواجه البشر فى هذه المنطقة (التواصل)، كما تتنوع أشكاله

- لم يعد التواصل قاصرا على العقد الاجتماعى العام،
- ولا على تأمين الحقوق والواجبات،
- ولا على الشبق والالتذاذ،

بل أصبح لازما لتحقيق إنسانية الإنسان بالمواصفات اللائقة به.
العلم ما زال عاجزا عن سبر غور هذه المناطق بالقدر الذى يحافظ على استمراريتها، فى اتجاه تأكيد إنسانية الإنسان،

عجز العلم، والتعرية بالإبداع (سلباً وإيجاباً)

لا يوجد عندى حل جاهز - كالعادة - وبالتالى علينا أن نقر **أننا فى مأزق يجدر بنا ألا نكتفى إزاءه بالتأجيل أو التجزىء أو التعامى أو التصبير**

إزاء عجز العلم عن تقديم حل مناسب تصدى الإبداع بأشكاله المختلفة، **سلبا وإيجابا**، خاصة بالحكى الروائى، لتناول هذه الصعوبة بالفحص والتقليب، دون أن يزعم أنه قام بحلها.

محاولات **الإبداع السلبى بالمرض** عرّت التواصل الزائف والمغترب والمجهض.

معظم المرض النفسى يعلن **فشل التواصل العادى الاغترابى**، وفى نفس الوقت يعلن **فشل هذا البديل المرضى.**

إذا أردنا أن نعّرف المرض النفسى بشكل عام من هذا المنطلق لقلنا:

إنه "عُسْر علاقاتى، أو فشل علاقاتى، بما يترتب عليه من آلام وشكوك وانسحاب وعزلة"

وقد أسميته حلاً إبداعيا لانه يبدأ برفض الحلول الاستسهالية الظاهرة (السالفة الذكر) **لكنه لا ينجح فى طرح البديل**

أو هو يطرح بدائل لها من المضاعفات ما لا يصح معها أن نعتبره حلا بحال فهو إبداع سلبى فى النهاية.

محاولات الإبداع الإيجابى تتناول المشكلة بصور مختلفة، وهى لا تقدم حلولا بقدر ما تعرى الصعوبات والزيف والاغتراب أيضا، وهى تقلب الملف طول الوقت على مختلف مستويات العمق، ربما بقدر تعدد طبقات الوعى.

ثم إنى رحت أراجع كثيرا مما كتبت فى النقد عموما، فإذا بأغلبها تدور فى هذه المنطقة: **تعرية إشكالية التواصل البشرى مع القصور فى حسم حل كامل.** (هذا هو دور الإبداع الممكن!)

إذن فماذا يضيف الإبداع (الإيجابى أو السلبى) بما يقوم به من مغامرات التعرى هذه؟ دون حل؟

هل يترتب على ذلك شئ غير الإيلام وحرق الحلول الجزئية؟ اللذيّة أو الشبقية؟

يا فرحتى أن نحرم الذين يتصبرون بهذه الصفقة، أو تلك اللذة، أو يحتمون بسقف تلك السلطة، أو وعود أوصياء المؤسسات، أو يطمئنون إلى تلك الورقة، أو هؤلاء الشهود، **يا فرحتى حين نحرمهم من راحتهم بإبداع مؤلم، يصف أغلب هذه المهارب الرائعة مرة بالكذب ومرة بالسطحية ومرة بالعمى، فنحرم من يمارسونها من لذتهم ومتعتهم وطمأنينتهم، بما نسميه إبداعاً!!**

هل هذا يجوز هكذا؟

إذا قلنا لا، لا يجوز، باعتبار أن هذا يعنى أن على كلٍّ منا - ومن حقه - أن يحل مشكلة تواصله مع الآخر بما انتهى إليه، فلماذا تتواصل تعرية الواقع هكذا بالمرض أو بالإبداع؟

أذكر القارئ كما قلنا فى **يومية (3-9 "نستعمل الواقع، لا نرفضه")** أنه "ليس معنى أننا لا نجد حلا لإشكال صعب، أن نقر الحلول الخطأ إلا أن تكون مرحلة ضرورية للاستمرار حتى يتخلق الحل الأصح"

أنا - كالعادة- لا أعرف الحل الصحيح، فأدعوك معى لمواصلة البحث ، فهيا نحاول بدءًا بطرح أسئلة عن أى علاقة بين اثنين، وأكثر مثل:

(1) هل هى علاقة ثابتة: (علاقة القفل بالمفتاح) أم أنها علاقة **حركية قابلة للاحتمالات** (كثير منها لا نعرفها).

(2) هل هى علاقة فريدة (ليس كمثلها شىء) أم أنها علاقة **ممثلة لأية علاقة أخرى تحمل مقومات حركيتها وصحتها** ويمكن تَمَثُّلها فى ظروف أخرى مع شخص آخر، (علاقة عكس: *إنت وبس* *للى حبيبى*)، مع اختلافات التفصيل والأبجدية والتشكيل ؟

(3) هل هى علاقة نامية **باعثة على نمو أطرافها جميعا**، وليس نمو طرف على حساب الآخر، علاقة ينمو من خلالها كل طرف على حدة، وأيضا تنمو هى فى ذاتها؟

(4) هل يقاس النمو بمدى الالتصاق واستحالة التخلى، أم بتحقُّق كل واحد "وَحْدُه- مع الآخر" To be alone with.

(5) هل هى **علاقة مؤقتة تفريغية تسكينية** (كيميائية لذيذة على جنب)، تنتهى بانتهاء التفاعل الكيميائى، أم أنها علاقة تُخلِّق من هذا التفاعل مادة جديدة، قادرة على التفاعل بقواعد جديدة؟

(6) هل هى **علاقة استغلالية**، يستغل فيها طرف ظالم طاغ (مستعمِل) طرفا تابعا أو طفيليا طول الوقت (مُستَغْمَل) برضاه أو رغما عنه؟

(7) هل هى علاقة تنتهى عند حدود أطرافها، أم أنها تمتد **فينا وينا معاً** فى الناس، إلى ما بعد ما لا نعرف، إلى الغيب، إلى المطلق، إلى وجه الله واقعا أوقع من الواقع.

وأسئلة أخرى كثيرة، لا أعرف لها إجابة، وإذا عرفت لها إجابة فأنا لا أعرف ما هو المقياس غير المتحيز الذى يمكن أن نقيسها به،

أتصور أننى بمواصلتى طرْق هذه الإشكالة الممتدة أحاول أن أدعو إلى مزيد من الإبداع اليومى، ومزيد من الصبر، ومزيد من المحاولات، ومزيد من النقد، حول هذه المسألة لعلنا نعرف بعض معالم الطريق لنكون أكثر إنسانية ورقيا.

ربما وجدنا سبيلا مؤلما طيبا يساعد أن يجد كل منا طريقا يصله بآخر يحاول نفس المحاولة التى تصلهما بالناس فيما يعد به تطورالإنسان دون تأجيل أو مثالية.

كل ما أرجوه هو أن يكون إسهامى المتواضع المتواصل (بالنقد الأدبى خاصة، والنقد العلاجى أحيانا، والنقد الذاتى نظريا وعمليا) مما أنشر بعضه هنا، هو مما يمكننا من معرفة أوضح لمسئوليتنا تجاه هذه الإشكالة.

قبل أن أختم كلمتى بقفز سؤال لا يمكن الهرب منه يقول؟
هل حللتُ أنا شخصيا - فى حياتى الشخصية - هذا الإشكال؟
طبعا لا؟
إذن فماذا؟

إذن فهذا !!!

يبدو أن هذا كان فى بؤرة وعيى وأنا أفتح على نفسى هذه الفتحة فى كتابة اليوميات

"يوميا: الإنسان والتطور".

وفى يومية قادمة أعد أن أعرض محاولة قمتُ بها لأتعلم، ونتعلم، - نحن البشر- من بعض أشكال التعايش الثنائى بين الأحياء الأدنى.

الخميـــــــس 27-09-2007

27- فـــي شـــــرف صحبـــــة نجيـــــب محفـــــوظ (1)

استهلال :

اليوم الخميس، هذا هو يوم نجيب محفوظ، وهو نفس يوم لقاء الحرافيش الأصليين والاحتياطيين لأكثر من نصف قرن، وهو هو يوم زاويته فى الأهرام، وقد تصورت فى البداية أنه سوف يكون المنشور فيه نقدا خالصا، ربما لحرصى على بداية تحريك دورية نقده المتجدد، تحقيقا لما رجوته وطالبت به مرارا من مواصلة الحوار النقدى حول إنتاجه بلا توقف، لكننى فى نفس الوقت، وأنا أخصص يوم الخميس لشيخنا فى موقعنا هذا وعدت أن أنشر بعض يومياتى معه، وبعض قراءتى لما كتبه فى كراسات "الواجب" أثناء التدريب لاستعادة مهارة يده (اليمنى) المصابة.

بدأت الخميس الماضى بقراءة أول حلم (رقم 1) على أمل أن أتبع نفس النهج الذى اتبعته فى قراءة الأصداء، لكننى حين بدأت فى قراءة الحلم الثانى (رقم 2) ، وجدت صعوبة كادت تلجئنى إلى بعض التعسف، فوضعته جانبا، ثم رحت أقرا كل أحلامه حتى ما نشر بعد رحيله، وقد فاقت المائتين، فإذا بى أكتشف أن المنهج الذى اتبعته فى الأصداء قد يحتاج إلى تعديل لم تتضح لى أبعاده بعد، فضلت التأجيل، وقلت ألتقط أنفاسى، وأبدأ، ولو بالتناوب فى نشر بعض ما وصلنى منه خلال ثمانية أشهر (عقب الحادث مباشرة)، مع أن عشرتى امتدت معه إثنى عشر عاما. (من 1994 حتى 2006)، صحيح أن هذه الأشهر الثمان الأولى كنت أتعرف عليه شخصاً بعد أن علمنى وهدانى مبدعا، كما أننى كنت ألازمه يوميا تقريبا، مقارنة بما بعد ذلك حين انتهى الأمر فى الثلاث سنوات الأخيرة ألا أراه إلا يوم الخميس، وهو لقاء الحرافيش الحقيقيين، ثم الحرافيش الاحتياطيين – الذى أنا أحدهم – بعد ذلك، وهو لقاء مغلق علينا، حتى يوم الجمعة الذى كان اللقاء يتم فى منزلى، لم أكن أحضره مؤخرا شخصيا، وكنت فرحا بذلك حيث كان معناه ان شيخى هو صاحب البيت والمضيف بلا أى حرج أو تكلف،

ياه !!! يا للشرف، ويا لطيبته مضيفا وشيخا ومعلما ومبدعا.

المهم، حين قلبت فى هذه الأوراق التى كتبت من 11 ديسمبر 1994 حتى 17 أغسطس 1995، وجدت بها من الثراء ما جعلنى أتساءل:

لماذا توقفت ما دامت هى هكذا؟ هل هو الوقت؟

هل هو الخوف أن تكون لقاءاتى به أقل تلقائية حين أضبط نفسى وأنا أركز على رصْد ما يجرى أكثر من أن أترك نفسى له ولهم (الحرافيش خاصة)؟

هل اكتفيت فقنعت؟

ليست عندى إجابة،

ولولا أننى عودت نفسى ألا أندم على شىء فات، لندمت على أننى لم أكمل.

يوميات: فى شرف صحبة "نجيب محفوظ" [11 / 12 / 1994 – الجمعة : 17 / 8 /1995]

الفصل الأول: قبل اليوميات

مقدمة

هذه الكتابة – مثل أغلب ما أكتب- هى نتاج تحريك لوعى ذاتى، أثارته مصادفة لم تكن فى حسابى أبداً، فى وقت متأخر نسبيا من حياتى، وهى ليست عن حقبة من تاريخ شخص رائع، ولا هى تسجيل لسيرة شخص لاتنقصه الدراسات ولا الأحكام، ولا تسجيل "ما هو"، بالحق أو بالباطل، هى تسجيل لما تحرك فى وعيى الشخصى نتيجة لهذا القرب الجميل من شخص **بالغ النبوغ والرقة والإنسانية، بالغ القوة والإبداع والحضور، بالغ الإيمان والسماح واليقظة** شخص أثر فىّ حتى أيقظَ فىّ الشعر بعد أن كان قد تراجع حتى نسيت أننى هو، أيقظه مرة فى حياته، ومرة أخرى عند رحيله، شخص كان يمارس معنا ما أسميته **"إبداع حى=حى"** (قياسا على صواريخ أرض= أرض) فى الأهرام **"يا شيخنا الجليل عش لنا عاما آخر، وأعواما كثيرة، يا ربنا استجب.."** حيث كان يمارس نوعا من الإبداع بإعادة تشكيل وعى كل من يقترب منه، ولو صامتا. شىء أشبه بما يفعله الشيخ الحقيقى بمريديه، ربما لهذا كان أقرب صفة أفضل أن أصف بها علاقتى به هى صفة **"شيخى الجليل".**

هذه الكتابة هى نوع من التداعى الطليق، تحاول أن ترصد بإيجاز شديد ما تبقى فىّ بعد كل لقاء، فى فترة قصيرة (حوالى ثمانية أشهر) وقد أحسست أنها ليست عن شخص محدد بقدر ما هى عن "زمن"، "زمان"، "عن مكان"، عن "مصر"، عن "عصر" عن "أمل"، عن "سهل ممتنع"، عن "نفسى".

هى تداع طليق وليست تسجيلا وثائقيا، لم أقصد فيه أى مقصد محدد، مجرد تسجيل لما خطر لى، أو مر بى، أو تبقى فىّ، وأنا معه. لم أكن أدرى ماذا يمكن أن أخرج به من كتابة هذا الكلام، هل هو إضافة؟ هل توجد ثمة فائدة منه؟ كنت أكتب هكذا فقط، أكتب وخلاص.

فلماذا توقفت؟
ليست عندى إجابة،
وقد تكون الإجابة غير مطلوبة أصلا.

كتبت، ربما لأننى أحسست أن هذا بعض دين علىّ لشيخى هذا، أى لمصر، أى للناس، بمعنى أننى لو فوّتُ الفرصة، فقد أساءَل من ربى عما وصلنى، ولماذا لم أبلغه لأصحابه: أهل مصر أولا، ثم فى كل مكان، ربما، (لا يا شيخ؟!!) مرة أخرى: إذن لماذا توقفت؟!! ومع ذلك فهذا ما كان، وقد حانت الفرصة لأقدم للناس من خلال هذه النافذة الخاصة ما سجلته فى تلك الفترة المحدودة مما "وصلنى منه" و"معهُ، وهو ليس بالضرورة "ما جرى فعلا".

أحذر القارىء- ابتداءً- أن يتلقى هذه الكتابة باعتبارها تاريخا أو تأريخا أو حقيقة أو وثيقة، وأستغفر الله لما أكون قد عجزت عن الوفاء به. كما أعتذر لشيخى - شيخنا - لما أكون قد سمحت لنفسى به، فما دفعنى إلى هذه المخاطرة سوى حبى له، وللأرض التى أنجبته، وللناس الذين أحبهم، وإلا حرصى على أجيال تأتى من بعدنا، أرى لزاما علينا أن نوصل لها أفضل ما هو نحن، وهل هناك أفضل مما هو نجيب محفوظ/مصر، وبما هو هذا الانسان الطيب ... المؤمن العارف!!؟

تحفظات منهجية

1 - هذا العمل ليس نتاج تسجيل لا بالصوت ولا بغيره، فى أى مرحلة من مراحله، فقد كنت أتحرج من ذلك تماما، وأرفضه فى كثير من الأحيان، رغم أن شيخنا كان يسمح به أحيانا، ويتغافل أحيانا أخرى فلا يمنعه دون سماح صريح، إلا أننى كنت دائما قلقا من هذا أو ذاك، **برغم ثقتى الهائلة بأمانة محبيه ومسئوليتهم المطلقة.** المسألة ليست سهلة، حتى أن التسجيلات التى أخذت منه قبل ذلك بسنوات فى بيته بقصد النشر (رجاء النقاش) تم فيها انتقاء غير دقيق، أو قل غير موفق، ولا أقول غير أمين، الانتقاء المتحيز أو المتخبط، بغير قصد، يكون أحيانا ألعن من الكذب أو التلفيق، وقد كتبت فى هذا محتجا، مع أنه شخصيا لم يحتج على ما نشر بعد ما نشر بفضل حيائه وحبه للنقاش، وربما احتراما لسماحه السابق له وثقته فيه، أقول لى ولكم مرة أخرى بالنسبة لما أكتبه الآن: لم يكن هناك تسجيل إلا فى وعيى، حتى أننى لا أستطيع أن أعتبره تسجيلا فى ذاكرتى.

أثارت هذ المسألة وهذه المحاولة المحدودة عندى ما أثارته حول حقيقة ما يُسَجَّل عن أنه تاريخ حوارى شفهى محكىّ باللفظ بعد سنوات، وأحيانا عشرات السنين، وأحيانا بعد مئات وليس بعد ساعات، طول عمرى أشك فى مصداقية ما يحكى لنا من تاريخ، طول عمرى أعرف أن التاريخ - على أحسن الفروض-، هو "وجهة نظر" (المؤرخ غالبا)، التاريخ عامة ، فما بالك بالتاريخ الذى يزعم نقلا لفظيا بحروفه، ما علينا، ليست هذه قضيتى الآن، فقط أقر وأعترف أنه حتى ما جاء هنا بصيغة "قال" و "قلت" ليس بالضرورة أن يكون حرفيا.

2 – كنت أعود أحيانا فى جلسة تالية لاستيضاح ما غمض علىّ فى لقاء سابق ، كما كان أغلب ما أفضل تسجيله هو ما يتم فى جلسات الحرافيش المغلقة، حيث كانت الفرصة تتاح لى أقرب فأقرب، فالعدد محدود، كثيرا ما يقتصر على ثلاثة: أنا وهو والحرفوش الأقدم "توفيق صالح"، فى بيت الأخير فى تلك المدة التى سجلت فيها هذه الانطباعات، إما فى شرفته صيفا فى الدور العاشر على النيل وهى تطل على كوبرى الجلاء، وإما داخل الحجرة الملحقة بالشرفة!! (فقد كنت اعتبر الشرفة هى الأصل) شتاء، وكانت هذه الاستعادة تفيدنى ايضا فى التحقق مما تبقى فى وعيى، مرات بالإثبات ومرات بالنفى.

3- وجدت نفسى أكتب كثيرا من الحوارات باللغة العربية الفصحى، وكنت قلقا من ذلك، فأنا أعجز عن الكتابة بالعامية إلا فى الشعر العامى، حتى الحوار فى رواياتى هو بالفصحى، وقد أفادنى هذا العجز الذى ألجأنى غالبا للترجمة إلى الفصحى فى أن أنفى عن نفسى أن هذا ما دار حرفيا ، إذ من غير المعقول أن نلتقى لنتحاور بالعامية، طبعا لم تكن هذه هى القاعدة، لأن هناك ما لا يمكن ترجمته إلى الفصحى، خذ عندك مثلا ضحكته المجلجلة، فهى بالعامية!! فكيف أنقلها إلى الفصحى بالله عليكم.

4 – كان الاهتمام أساسا بأحاديث الأستاذ معى ومعهم، على حساب آراء وأقوال سائر الحضور، فمن ناحية لم يكن كل ما يدور هو فى بؤرة تركيزى، كما أنه لم يكن من الممكن أن أستوعب كل ما دار مهما كان الزمن قصيرا.

اليوميات 11 / 12/ 1994

لم أكن قد قابلته شخصيا قبل ذلك إلا مرة واحدة فى أوائل السبعينات، فى مؤسسة الأهرام بناء عن طلب لقاء سهله لنا أحد الزملاء، وكنت أتعجب كيف لدى هذا العملاق وقتا لمقابلة أمثالى، ولم أكن أعرف أنه – شخصيا- فى متناول كل الناس هكذا، هذه المقابلة أشرت إليها فى مواضع أخرى، كانت قصيرة ومفيدة وتركت أثرا فى نفسى لم أتبينه إلا بعد عشرين عاما وأنا أزوره هذه المرة بعد الحادث بفترة ليست قصيرة. كنت قد عشت الحادث البشع مثل أى مواطن مصرى، عشته بكل تفاصيله فى خيالى، وكتبتُ فيه ما كتبت ونشر فى الأهرام، مما يعتبر تمهيدا لهذا اللقاء، وأستسمح القارئ أن أعيد نشره هنا ولا أكتفى بالإشارة إليه "بالرابط" كالعادة وذلك لبيان روح علاقتى به من بعيد قبل أن ألقاه اصلا، كتبت بعد الحادث مباشرة ما يلى:

الأهرام: 1994/10/18

"يا شيخنا: أبى الله إلا أن يحفظك، ليشرق نوره علينا من خلالك"

مثلى مثل كل المصريين, مثل كل المؤمنين, مثل كل الناس, لم أصدق, حتى على مستوى التخيل.

كيف تجرأ هذا الفتى على شيخنا هكذا...؟ كيف طاوعه

قلبه؟ ألم يكن له قلب...؟!! ليكن, كيف طاوعه بصره؟ حسه؟ ألم ينظر فى وجهك شيخى وسيدى, ألم ير انحناءة ظهرك؟ ألم تشرق عليه طيبتك؟ ألم يغمره إيمانك؟ ألم يدرك وهن بصرك؟ ألم ينتبه لضعف سمعك؟ ألم تطل عليه من خلال سماحتك ويقظتك شخوص إبداعك: إشراقة وجه الشيخ رضوان, طيبة أحمد عاكف, حيوية السيد أحمد عبد الجواد, وطنية إبنه فهمى وحياء كمال, دعوات الست أمينه أمهما, ألم يغمره نور الجبلاوى من خلالك؟ ألم تحضره حكمة وفتوة وشهامة ونبض عاشور الناجى (الكبير ثم الصغير)؟

كيف أصدق, وكيف تجرَّأ

حاولت- بحكم المهنة- أن أتقمص الجانى, لم أستطع أصلا,

لو أنه كلب مسعور هائم محموم يعوى ويجرى على غير هدى, ثم طالعْته بشاشتك لارتدّ على عقبيه دون أن يلمسك. لهذا وغيره فشلتُ فى تقمص الجانى.

فرحْتُ اتقمصك شيخى فى محنتك هذه, فحل بى غيظ مرير, ورفض حانق, وغضب حاد, واقتربتْ منى حسرة مهيضة, وخوف متسحب, فانزعجت من كل هذا وخفت عليك , فدعوت الله أن تكون الإغماءة اللاحقة قد رحمتك من بعض ذلك, وأن يكون التخدير اللازم قبل العملية قد هدأ روعك حتى لا تشعر بكل ذلك أو بمثل ذلك.

لكننى حين رحت أتابع أخبارك, بما هو أنت، لا بما تقمصتُ وتصورتُ, اكتشفت أنى أخطأت فى محاولتي, بل أخطأت فى حقك, اكتشفت أن موقفك كان - فعلا- أكبر من كل هذا, لم تحقد, ولم تغضب, ولم تخف, ولم تنكسر, يا خبر !! ربنا يخليك تعلمنا أكثر فأكثر, تصف الانقضاض الأعمى عليك تقول""..شعرت كأن وحشا نشب أظافره فى عنقى", إلا أنك سرعان ما تصف هذا الشاب المسكين لما تبينت بعض ملامحه وهو يجري, تصفه أنه كان "...شابا يافعا فى ريعان العمر...كان يمكن أن يكون رياضيا أوعالما أو واعظا ", ثم رحت تدعو له ولأمثاله بالهداية , وأنت تقدر جهد الدولة فى مواجهته "..ربنا معكم, وربنا يهديهم "!!.

استمرت محاولاتى التقمص - بحكم المهنة- أيضا , فتصورت أننى شاب من هؤلاء المخدوعين أتابع ما جرى لك, وأعايش موقفك, وأفهم أقوالك, فأفاجأ بك تدعو لى أنا القاتل أو المتربص للقتل, تدعو لى بالهداية, هل أستطيع بالله عليك إلا أن أقول "آمين", وحين أهتدى بفضل دعواتك شيخنا سوف أعرف الله الذى أردت أن تعرفنى به طول عمرك على مسار إبداعك, سوف أكتشف أنك لست نيتشه الذى توقف عند " لا إله ".. ولم يكمل "..إلا الله" ومع ذلك اعتبره محمد إقبال مشروع مؤمن رغم أنفه, ورحت أنت يا شيخنا تكمل ما توقف عنده نيتشه, رحت تفتح الآفاق لإيمان أرحب, رحت تدعو من تجرأ فادّعى أن الله غير موجود (تحت وهم علم سطحي), أن يمتد بوعيه حتى تتسع معارفه ليكتشف الله من

جديد , ألم يكن هذا ماقصدته وأنت تسخر بقية عمر "عرفه" كى يعيد الحياة إلى الجبلاوى؟

يا خبر !! كيف لم أتبين تقمُصاً - أنا الإرهابى المخدوع - كل هذا أو بعض هذا من قبل أفعل ما فعلت؟

لماذا لم أنتبه لعمق إيمانك الذى وصلنى الآن فقط وأنت ترحب بلقاء خالقنا وخالقك؟

هل يمكن أن تقول - شيخنا - ما قلته محمد سلماوى إلا أن تكون من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه , ألست أنت الذى قلت لسلماوى "...أمّا إذا كان (ربنا) يريد الأخرى , فنحن أيضا نحب أن نلقاه, ما أحلى "أيضا" هذه, يا شيخنا: أستحلفك - بأن أدعو ربى - ألا تموت الآن.

مازال هؤلاء الشباب الذين طعنوك فى حاجة إليك, لن يشفيهم إلا مثل إيمانك, لن يعلمهم إلا درس مثل هذا الدرس: حين أرادوا إطفاء نورك-وهو يعكس نور الله علينا إبداعا وإيمانا- أبى الله إلا أن يحفظك ليتم بك نوره عليهم وعلينا.

يا شيخنا مازلنا فى حاجة إلى بقائك بيننا حتى يتعرف شبابنا المرتبك ماهية مصر من خلالك, ومعنى التكامل الإيمانى الحر بفضل وعيك, وشرف العطاء غير المشروط من وحى ما تمثل، إن الله سبحانه لم يغمرنا بفضله من خلالك فقط, بل من خلال ما حدث من إعجاز الطب المصرى, والجراحة المصرية, حين يتخذ الأستاذ الدكتور سامح همام (وزملاؤه من حوله) القرار الصائب دون تردد, حين ينزعون بعض الفقرة دون تلكؤ, فيحقق الله المعجزة على أيديهم ليحفظك, فيحفظ لنا الأمل, ويثبت أقدامنا بالعمل, نحن فى أمس الحاجة أن نظل نسمع ضحكتك المجلجلة وأنت تحور القول الشعبى المصرى "المدية صابتنى ورب العرش نجانى".

يا شيخنا الحبيب

لا تمت الآن- ربنا يخليك لنا ولهم

وإن تمت- بإذن ربنا,لا بمديتهم- فنعاهدك ألا تموت بما تركت فينا ولنا.

****

عودة إلى اليوميات 16 نوفمبر 1994

كلمنى أ.د. سامح همام بشأن هذا المقال، وشكر لى بعض ما ذكرت عنه، وما اعترفت به من فضله وما أقررت من مهارته وسألنى: هل زرت الأستاذ، فقلت له لا، لماذا، أنا أحب أن أحافظ على حبى له عن بعد، وقد لا أحتمل أن أراه إلا كما رسمه خيالى، وأنا أسمع عن حالته الآن كل خير بفضلك، فليتمم الله عليه/علينا نعمته، ويقوم بالسلامة، قال أ.د. سامح أفضّل أن تزوره فقد أصبح أكثر إسهاما وأطول صمتا بالمقارنة بالأيام الأولى بعد الحادث.

ومع ذلك تغافلت، وحسبت أن أ.د. سامح قد لمح عواطفى فى مقالتى فأراد أن يكرمنى بإتاحة زيارته، وفى نفس الوقت لم أتصور أن أزوره إلا تلميذا أو مريدا أو محبا أو تابعا، أما أن أزوره طبيبا، و"طبيبا نفسيا" فهذا أكبر من طاقتي، "طنّشت".

فى اليوم التالى : كلمنى العميد د. محمد الحسينى من مستشفى الشرطة لم يجدني، وقلت لنفسى: ربك يستر، ترك رقم هاتفه فتباطأت فى الرد، ثم كلمته بعد إلحاح رسائله، ما باليد حيله، يارب حافظ على الرجل أكثر وأطيب: إن أجريت فَضْلَك – ربى– على أيدينا فشكرونا، فالحمد لك من قبل ومن بعد.

ذهبت بعد أوامر الشرطة، يعنى، ذهبت طفلا يخاف أن يواجه أباه رغم يقينه بعفوه وحبه وطيبته، طفلا عليه أن يعود أباه ويكون تحت أمره ويطلب رضاه، لا أكثر، أليست هذه هى الصورة التى رسمتها له قبل ثمان سنوات فى مقدمة قراءتى النقدية لبعض أعماله **(كتاب قراءات فى نجيب محفوظ: "المقدمة")**؟ لا لكن ما الذى منعنى قبل الحادث أن أسعى إليه لأغترف من فضله مثلما يفعل الآخرون يا ترى؟ أجابنى داخلى كالعادة بمثل الذى قلته للدكتور سامح: ربما خفتُ على صورته التى رسمتها له فى خيالى، ثم إنى لست من رواد المقاهى الثقافية، ولا أحذق فن الحوارات التى تدور فيها، وأخاف من نفسى أن أحكم مضطرا على روادها الأفاضل. إذن أنا الذى منعت طفلى أن يرى والده طول هذا العمر؟ لكن حين آن الأوان كان ما كان، وبأمر الحكومة (العميد الحسينى شخصيا).

ما باليد حيلة، أذهب بالرغم منى، فأنا أرفض أن أكون طبيبه وهو الذى عالجنى دون أن يرانى كل هذا العمر، ثم استمر علاجه لى حتى فصّلت ذلك شعرا فى أحد أعياد ميلاده **"صالحتنى شيخى على نفسى"** (الأهرام) "فلأذهب من أجل خاطر عيون ذلك الطفل الذى بداخلى، وأيضا لعلنى أكون عونا لشيخى وطبيبى مثلما كان دائما عونا لى طول عمرى دون أن يدرى.

****

دخلت حجرته فى المستشفى، وكانت خالية منه ، كان فى الحمام، انتهزتها فرصة لأسأل الممرضة عن أحواله – عموما – فقالت: أحسن، خرج من الحمام فوقفت لاستقباله، هو لم يرنى من قبل (اللهم إلا بضع دقائق سنة 1971 فى الأهرام كما ذكرت) عرفته بنفسى فهز رأسه ثم أردف بخشرجة خشنة "أهلا وسهلا"، وأمسكتْ قبضةً مجهولة بكل قلبي، أمسكت به حتى عصرته، أزحت وجهى بعيدا وأنا أعرف أنه لن يرى ما ترقرق فى عينى ومنعته أن ينساب، جلست بجوار أذنه التى علق بها سماعة ما وأخذت أطمئنه، بل أطمئن نفسي، من خلال حضوره، بدا لى أنه أكثر طمأنينة منى، رحت – أستلهم من هدوئه ما يبرد قلبى، وتمنيت أن ينتهى هذ الموقف العصيب بسرعة.

سألته – كطبيب رغم أنفه – عن النوم، وعن السكر، وعن العلاج الطبيعى، وعن الضغط، وقالوا لى وأطلعونى على كل ما لزم، الأرقام كلها فى حدود الطبيعي، ولا شيء يبدو غير ذلك.

حضرت الزوجة الفاضلة، وعرفنى بها مشيرا إلىّ "... دكتور فلان" بلهجة الذى يعرفنى من قبل، حتى شعرت أنه يعرفنى بجدْسه أكثر وأقدم، لم أمكث طويلا حرصا على راحته، انحنيت على يده أقبلها رغما عنه، ثم أقبل رأسه مستأذنا.

انصرفتُ وما انصرفت،

فقد ظل معى طويلا طويلا

وفى الأغلب سيظل كذلك حتى نلقاه على خير بقدر اجتهادنا إليه.

وإلى اليومية التالية، فى شرف صحبته (2): لست أدرى أى خميس قادم!!

الجمعـــــــة 28-09-2007

28- بريـــــــــــد / حـــــــــوار الجمعـــــــــــة

بعد أن امتد حوار الجمعة الماضى إلى يوم السبت، تصورت أنى سأتلقى - على الأقل - من الذين حاورتهم (أو تصنعت حوارهم) ردا أو تنبيها أو احتجاجا أو تكملة أو تصحيحا، لكن هذا لم يحدث، قلت لعله خيرا، فهم على أية حال قد وصلتهم الرسالة، لعلهم يأخذون وقتهم ربما ليتحققوا من هذا الأسلوب الاقتطافى الظالم، حين أقتطعت من تعليقاتهم ما أوصّل من خلاله ما أريد ، ولقد نبهت سابقا اضطرارى واعتذارى عن اللجوء إلى هذه الطريقة التعسفية، وانتظرت ، لكن أبدا..، حتى الذين كانوا يعقبون أولا بأول يوميا تقريبا (مثل الصديق محمد كامل، والإبنة أسماء نبيل) أيضاً "هُس - هُس"، ظل ذلك كذلك حتى أمس الأربعاء صباحا.

قررت أن ألغى هذا الباب كباب ثابت ، واجعل الردود/الحوارات فى أى يوم إذا ما تجمع لدى ما يكفى، ولم أسترح لهذا الاقتراح،

قلت: إذن أطلب بصريح العبارة ممن أثق فى اهتمامهم بعودة "الإنسان والتطور" وربما شاركوا أو على الأقل تابعوا باب "حوار" فيها ، أطلب منهم أن يعلقوا على الكذا وعشرين مقالا بسطر أو سطرين مما يسمح لى بمواصلة الحوار، فلم يستجب أحد منهم،

طبعت ما تيسر من مقالات اليوميات، وسلمتها لحفيدى عمر، وصديقه محمد غريب، وقلت "يمكن"، لكن أيضا هس هس !!! (إلا بعض الخطوط المهزوزة التى وصلتنى من ساعات تحت إلحاح سخيف منى)

فكرت أن أقسّم نفسى، وأخُرج من داخلى المحاورَ الأزلّى الذى لا يهمد أبدا، وأحاوره حتى يستمر تخصيص يوم الجمعة للحوار، ووجدت أنها فكرة طريفة، لكننى خفتُ من سوء التأويل.

ما الحكاية بالضبط؟

وأنا الذى كنت أتصور أنها فرصة أتعرف على من "لا أعرف"، وأوضّح لـــ.. وأستوضح "من أعرف"؟

بعد عودتى من العيادة أمس، حوالى الحادية عشر مساء، وجدت أغلب هذه الرسائل التى هى مادة حوار هذا اليوم.!!!

***

بداية الحوار
د: يحيى

نبدأ الحوار بالصلاة على النبي

يحيى:

ألف صلاة على الحبيب

د.يحيى:

ما هذا يا أهبل؟ من أنت؟ أنت ما صدَّقت قلة التعقيبات، ففزت لى هكذا دون استئذان، لقد استغنيتُ عن خدماتك، لقد وصلنى حالا ما يكفى من التعقيبات لعمل حوار حقيقى كامل، شكرا.

يحيى:

وهل أنا لعبة فى يدك تستدعينى وقتما تريد، وتستغنى عنى وقتما تريد؟

د. يحيى

لو سمحت، لو سمحت، خلّنا أحبة ودعنى أحاور الناس الطيبين الذين طمأنونى أمس برسائلهم، أنت تعلم أن سبب احتمال استدعائك، أنهم تأخروا عنى ليس إلا .

يحيى:

احتياطىّ أنا؟ (إستبن أنا)!! أليس كذلك ؟

د. يحيى

ليس هكذا تماما، لو سمحت

يحيى

ليكن، خذ راحتك، عن إذنك، حتى تعرف أننى أطيب منك،

***

محمد كامل
عنوان المقالة...: "بريد الأسبوع" (بريد/ حوار: الجمعة)

التعليق: ....
محمد كامل

انشرح قلبى عندما رأيت الموضوع (يقصد حوار الجمعة الماضى) ، فأنا أحب جدا جدا أن أتابع ردودك على رسائل زائرى موقعك والمعلقين على مواضيعك، هذا ترابط قوى جدا.

د. يحيى

.... شكرا، ثم إن ما بلغنى بعد صمتك طوال الأسبوع هو أنك اكتفيت بمتابعة الردود عن المشاركة، مع أنه كان فى ردى السابق ما تصورتُ أنه سوف يحفزك على الاستيضاح أو حتى الدهشة، وخاصة فيما يتعلق بتحفظى على وجه الشبه بين دورى ودور السيد "عمرو خالد"، كما بادرت بأن أرسلت لك على بريدك مقالا قديما كتبته – تفسيرا لظاهرة عمرو خالد – نشر لى فى الوفد فى 27 يوليو 2001 **(المغزى السياسى لظاهرة عمرو خالد)** بعد أن كنت قد نسيت فى الطبعة الأولى أن أربطه بموقعه فى الموقع، انتظرت أن يصلك تحفظى هذا على وجه الشبه بين ما أنتمى إليه وما أراه، وبين ما يدعو إليه السيد عمرو خالد بطريقته، فلا أظن مثلا أنه يوافق على ما جاء فى ردى عليك أن طريقته، هو ومَنْ نهجوا نهجه. قد جعلت الدين الإسلامى **أكثر رشاقة وشبابية**، وتصورت أنه حين يصلك مقال الوفد سوف تحتج ولو على نهايته التى قلت فيها

", لكن أى مخلص..., لا بد أن يدرك.. أن هذا **الدين الدَّمِثُ,** (الذى يقدمه عمرو خالد) ليس هو الحل, مع أننا فى أشد الحاجة إليه.

إنه بدون مشاركة حقيقية, ...وبدون مسئولية جماعية وراء قيادة تحسن الاستماع وتحترم الناس.

(إنه) بدون معاناة, وعدل وإنتاج وزراعة وتعليم وتصنيع وتصدير, لا شىء يعين , **لا عمرو دياب, ولا عمرو خالد, ولا عمرو موسي.**

أنا أشكرك أيها الصديق محمد كامل، وأعتبر أن صمتك هذا الأسبوع هو حوار بليغ وصلنى بصدق أيضا

ثم أنتهز الفرصة لأشكر الإبنة أسماء نبيل التى خصصتْ كل حوار الجمعة السابق لها، فقد جاء تعليقها شاكرا، مقتضبا متواضعا، ثم إنها أرسلتْ بعد ذلك ترحيبا على المقال المسمى "بعض وصف بعض مصر" تقول فيه (بعد ما وصلتها خطورة التعميم الذى توحيه العناوين الشائعة مثل "ماذا حدث للمصريين) تقول فيه اسماء بعد قراءة المقال

(الآن): ... "لو أردت شراء كتاب ووجدت اسمه "ماذا حدث للمصريين"، فلا أعتقد أنى سأفكر فى شرائه من الأساس"

وهذا أيضا ما ذهب إليه الإبن كريم "محمد شوقى" وهو يقر أنه "..أحترم فيك حرصك على عدم التعميم ...إلخ"

***

سمير زكى (24 سنة)

عنوان المقالة.....: "تعرية زيف واغتراب التواصل بين البشر: بالإبداع والمرض"

التعليق: .....

سير:

... أعتقد أن الإبداع بالنسبة للمريض هو وسيلة للتغلب على الاغتراب مرحليا

د. يحيى:

يا رب خليك ، فرحت باستخدامك كلمة **"مرحليا"**، ودعنى أضيف إليها "من حيث المبدا". أنا كلما دافعت عن المريض النفسى باعتباره ثائرا (خائبا فى النهاية) تصور الناس أننى أنتمى إلى المدرسة العدمية المسماة "ضد الطب النفسى" anti-psychiatry مع أننى "ضد - ضد" الطب النفسى، بقدر ما أتحفظ على الطب النفسى المؤسساتى.

فعلا أيها الصديق سير لابد أن نفرق بين بداية المرض التى تمثل "مشروع ثورة"، الذى يبدأ بإرهاصات احتمال تفكيك جمود جاثم، وبين مآله السلبى الذى هو فشل ذريع يدفع ثمنه المريض، خصوصا بعد أن يتناوله المجتمع الطبى الميكنى من تهذيب وضبط وربط بالكيمياء الجاهزة ، والتثبيط المتمادى فقط.

سير:

..قال لى صديق ألمانى "...عندما يأتى مهاجرون إلى بلدنا يأتون بمشاكلهم حتى الخاصة منها" وكان على حق، ونفس الشىء أظنه ينطبق على المريض النفسى، الهجرة إلى مكان جيد قد لا تفيد، الهجرة حتى لو كانت داخلية (داخلنا كما يفعل المريض النفسى تكون..) ..لاكتشاف مناطق جديدة مبدعة... (تؤدى) على المدى الطويل لاغتراب دائم (للمريض) وتثبيت لمشاكله ولا تؤدى إلى حلها.

د. يحيى:

بصراحة نعم، والتفرقة بين البداية، وما يحدث على المدى الطويل هى غائبة حتى عن كثير من الزملاء الأطباء، كيف عرفت ذلك يا سير؟ هذا طيب ، وبالتالى أنا أتردد كثيرا حين أسمى المرض "إبداعا"، وأسرع بإلصاق صفة "سلبى" إليه باعتبار ما ذكرت أنت من خلال ما يحدث على المدى الطويل من **"اغتراب دائم وتثبيت لمشاكله"**، فهو الفشل، فأين الإبداع؟

سمير

... الإبداع استغلال لطاقة حيوية فى الإنسان...، ، الهجرة إلى الذات (التى ينتج عنها) اغتراب وتثبيت للمشاكل ليست إبداعا، لا بد أن يعقبها إحساس بالقدرة على التحرك بحرية وسط الناس عامة، والانتقال بسلاسة من نمط علاقات إلى نمط علاقات آخرى، نمط نفعى إلى عاطفى إلى أخلاقى ، وهكذا، حسب مقتضى الموقف، لكن السؤال الذى يطرح نفسه : أى إبداع تقصدونه؟ وما هو الإبداع

د. يحيى:

أشكرك مرة أخرى، وأعتذر لك عما فعلته فى تعليقك حتى أوجزه بما أضفت مما هو بين أقواس وما حذفت ووضعت بدلا منه نقطا، أرجو ألا أكون قد غيرت فى جوهر رسالتك المفيدة، وخاصة التقاطك **حكاية الهجرة إلى الداخل**، وتثبيت الاغتراب برغم البداية لمحاولة التخلص منه، أما سؤالك عن "ما هو الإبداع"، فهو شغلى الشاغل طول عمرى، ويمكنك الرجوع إلى أحدث ما نشره لى المجلس الأعلى للثقافة **(حركية الوجود وتجليات الإبداع)**، وهو قد تناول مسألة تصنيف الناس إلى "مبدع" و "عادى" و "مجنون" واستبدل بها فرض أننا (البشر) نعيش فى حالات تتناوب فى انتظام أو غير انتظام، نمر بها جميعا : كمراحل" بشكل أو بآخر، وقد استبدلت التقسيم الساكن بأ افترضت حالات متناوبة من "العادية" و" الإبداع" و"الجنون" تتبادل فيما بينها كما ذكرت **(أنظر الفصل الثانى خصوصا الملحق الأول "من ص 221 إلى ص 222")**.

وأيضا قد تجد ملامح مفيدة عن الإبداع فيما سوف أنشره هنا فى يومية غدًا أو بعد غد غالبا عن **"..إبداع الشخص العادى، وإبداع المرأة"**

****

أحمد السيد: (34 سنة)
(1) عنوان المقالة ..: ("لمن أكتب؟" 11 & 12 سبتمبر)

التعليق: .....
أحمد السيد

يا د. يحيى أنت مُسَيَّر ولستَ مخيرا فى حمل الأمانة التى وضعها الله فيك

د. يحيى:

بصراحة ، يبدو ذلك..

أحمد السيد:

..فلا تبخل حتى لو لم تظهر نتائج حاليا لعطائك الدؤوب الآن، فانتظر لعل بكلمة من كلامك يتغير الحال، وتذكَر مقالك **"وبدال ما يثور يفن.."**

د. يحيى:

ياه !! ربنا يكرمك، .....!! شكرا

***

(2) (تعليق على نقد حلم (1) "من أحلام النقاهة لنجيب محفوظ" يوم 2007/9/20)

أحمد السيد

..لا أستطيع يا د. يحيى إنكارى أن نقدك لتحليل الحلم وشرحه قد مسَّ شيئا داخلى، لعله الجوع العاطفى، أو الحنين لدخول المؤسسة الزواجية، رغم عدم نظرى لساعة الميدان المذكورة، لأنها بداخلى، وأخشى من نصحيتك بأن الزمن لا ينتظر، بصراحة كان حلم تقيل قوى.

د. يحيى:

يا بو حميد: حكاية "مسَّ شيئا داخلى.." تعنى عندى الكثير، أكثر كثيرا من "فهمتُ- استفدتُ- صدَّقتُ.."، أىْ والله، أما أنك ضبطت (**اكتشفت**) أن ساعة الميدان هى بداخلك، فهذا يؤكد من جديد فرحتى بطريقة تلقّيك لاجتهادى النقدى.

***

(3) (تعليق على: "مقالة الأسطورة الذاتية" "يوم 16 - 9 - 2007")

أحمد:

رغم الارتباط بكلمة الأسطورة بجانب ***اكتشاف الذات*** فهذا لا يقلل نهائيا من حقيقة الذات ودخولها فى حيز التنفيذ.

د.يحيى

.. لم أفهم الجملة جيدا

لكن بدا لى أن كلمة "أسطورة" تحتاج إلى تعريف نتفق عليه ولو بالتقريب (قبل أن نمضى فى الحوار)، ثم إن الأسطورة الذاتية هى غير الأسطورة العادية التى هى عادة تاريخية (برغم استمرارها حتى الوقت الحاضر تحت أسماء أخرى)، **الأسطورة الذاتية** (كما وصلتنى من جوزيف كامبل وكويلهو ونجيب محفوظ وغيرهم ممن أشرت إليهم فى المقال) هى غير شعورية عادة، على الأقل هى ليست فى "بؤرة وعى اليقظة". هى مشروع يتكون باستمرار، ونحن – فى الظروف المتاحة _ نشارك فى تكوينه بشكل ليس إراديا بوضوح، وهى فى تغير مستمر، لا تتطابق أبدا – فى رأيى – مع ما نعرف تحت اسم "اكتشاف الذات" وهو التعبير الذى ذكرتَه فى أول كلامك، الذات لا تُكتشف، الذات تتواجد وتنمو .

أحمد

(ما أقصده من) السؤال هو: كيف نكتشف ذاتنا ونحن لم نعلم عنها شيئا، هل يجب علينا خوض التجارب الكثيرة لاكتشافها مثل كاتبها من سحر وشعوذة أو رحالات ...

د. يحيى:

نحن لا نكتشف ذاتنا، **نحن نتسلم مشروع ذواتنا ونشارك فى تشكيله**، حكاية **"تحقيق الذات"**، وتأكيد الذات التى شاعت لعدة عقود وكأنها غاية المراد: **"أكون أو لا أكون"**، لم تعد هى الأنسب لما يجرى من منظور النمو البشرى، المفهوم

الأكثر حداثة وواقعية معا هو "تشكيل الذات" أو تخليقها **(أكون أم أصبح)**، الذات هى ناتج جانبى لحركية نمو سليمة أو مشوهة، هذا التشويه يتم بفعل فاعل تربوى أو اجتماعى أو سياسى اقتصادى، بل بها جميعا، وهو قد يتم أيضا بفعل تخبط مضطرب أو انحراف عشوائى. فى جميع الأحوال، الأصل أن تستمر حركية النمو، ولا يكون الواحد منا "ذاتا ثابتة" أو "ساكنة" إلا فى لحظة بذاتها (أو مرحلة بذاتها) قابلة للتحريك وإعادة التشكل دائما أبدا باستمرار،

أما قولك"..مثل كاتبها من سحر وشعوذة وترحالات.." فدعنى أقول لك تحفظا مبدئيا عن ربط ما هو "أسطورة" بما هو "سحر وشعوذة"، هذا غير وارد أصلا إلا من منطلق قمعى فوقى مؤسساتى، ثم أن الأسطورة التاريخية عادة ليس لها "كاتب"، وإنما هى تتخلق من وعى الجماعة، صحيح أنها قد تُتَناقل فى شكل حَكى، لكن ما هذا الحكى إلا تسجيل تقريبى لحركية الأسطورة عبر التاريخ فى وعى مجموع الناس، وأحسب أن الأسطورة الذاتية هى ليست إلا نتاج حركية مستويات الوعى معا عند الفرد، لتتجلى فيما يسمى "الذات الظاهرة" فى وقت بذاته ، كل هذا يتم على مستويات الوعى المتفجرة، التى أعتقد شخصيا أنها مستويات وجودية بيولوجية معا.

أحمد

..رغم كلامك بأنها شىء بيولوجى داخلى "جوانا" وأن كويلهو ومحفوظ يدعونا لتحقيق أسطورتنا الذاتية، كل بطريقته، هَلْ من أُسُس، أو على الأقل قواعد للسير عليها فى اكتشاف ذاتنا "مش عارف"

د. يحيى

أخشى أن أقول لك :"ولا أنا عارف"، فأبدو كمن تخلى عن مسئولية ما وصلنى،

لا أستطيع أن أزعم أن هناك **"قواعد"** كما يشاع قديما وحديثا سواء فى صورة نصائح وتعليمات أو بالتدريبات المعرفية السطحية التى لا تُنَمِّى إلا **"قشرة السلوك"** التى هى ليست مرادفا أبدا لحركية تفعيل الأسطورة الذاتية لتتشكل باستمرار،

آسف، أشعر أننى عاجز عن مزيد من الإيضاح فى هذا الحيز المحدود، مع أننى حاولت أن أشرحها فى أغان للأطفال، التى ثبت لى لاحقا أنها **للأطفال داخلنا...** أكثر منها للأطفال عموما. لا أريد أن أزحم الرد بهذه الأغانى لكن هذه الأغنية لم تنشر، و لم تنزل بعد فى الموقع، فلتسمح لى أن أعرضها عليك، لعلك تلاحظ **الحركة، والتعدد فى مستويات الوعى أو الذوات إذْ تتحرك معا. وهى تشير إلى مشروع البنى آدم منّا حالة كونه طفلاً دائما "يتكون باستمرار"،** هذا هو بعض مشروع الأسطورة الذاتية.

آنا بصيت فى مرايتى
شفت نفسى: هيَـا صورتى
إنما رْجعْتِ فْ كلامي:
إللى شفته "مش أنا بدر التمام"!
آنا كام؟
إنتو شايفين اللي برّة
بس ده مش كلّى مرّة
أنا لسّه ليّا جوّة
حتى باين: إنى هوّه
"أنهو أحسن؟"
أنهو أحسن؟؟!
آنا أحسن!!
أنا "مجموعي" آنا
لاّهْ ما تْبصّش هناكْ، آنا هنا.
أيوه بص ويالله قلْ لِى:
آنا "شكلى"؟، ولاّ كلّى؟
آنا يعنى كتيرْ، وقصدِى
إنى كلّى على بعضى"

هل لاحظت يا بوحميد معالم الأسطورة الذاتية **"أنا شكلى ولا كلّى، أنا يعنى كتير وقصدى، إنى كلىٍّ عالى بعضى.**

بصفة عامة يمكن أن أقول أن فرص التشكيل النسبي المستمر للأسطورة الذاتية تتناسب مع ما فى المحيط الذى ننشأ فيه، ويستمر يحيطنا حولنا وداخلنا من: مساحة من السماح، والتواصل، والحركة، والاحترام، والحرية الحقيقية، والمراجعة.

هل تصدق يا بو حميد أنى فعلا لا أعرف قواعد ثابتة أو لامعة أنصح بها لتحقيق سلامة تكوين الذات، بل إنى أصاب برفض شديد لأى نصائح وإرشادات فى هذا الاتجاه. إذ يبدو أن ذات كل منا - التى هى مشروع يتجدد بلا نهاية - ليست إلا: **الإفراز الطبيعي لعملية الحفاظ على الفطرة كما خلقها الله، وكما نزلت الأديان لتحافظ عليها، وتطلقها فى مسارها "إليه"، وكما تساهم فى تحقيقها وتحققها عمليات الإبداع الأصيل على كل المستويات، بكل التشكلات والأدوات.**

مرة أخرى أنا آسف، لكن دعنا نواصل **"معا"**، وسوف نجد سبيلا أوضح.

***

د. محمد أحمد الرخاوى

د. يحيى:
أخيرا يا محمد تكتب، وبنفس الطريقة، وأصعب! لكن أعمق!!
أنت لا تعقّب على ما نشر، أنت لا تشير إلى ما نشر أصلا، إلا بالعنوان، هل هذا تعقيب؟، أم أنه "قول على قول"، كما كنا نتعلم من إذاعة لندن (لا أذكر اسم صاحب الفضل الآن).

قرأت كلّ ما أرسلتَ، أربعة تعقيبات لم تذكر فى كل منها إلا عنوان اليومية، ولا أخفى عليك أنى شعرت بجديتك واستمرار محاولتك، لكن بصراحة وصلنى كل ما كتبتَ على أنه **"مونولوج"** لا أكثر. إلى متى سوف تفضل **"القول"** عن **"الاستماع"**، طول الوقت؟ أنت تُخرج ما عندك، فى دفعة واحدة استجابة لإثارة جزئية من **"عنوان"**، أو **"جملة عابرة"** أو **"بعض رأى"**.

أنت يا محمد يا إبنى تفقد الكثير بذلك،

كنت مع أبيك أول أمس(أخى الأكبر: أحمد، أطال الله عمره) فى إفطار رمضانى عند ابنتى منى، وسألته عنك، فأخبرنى أنك ما زلت تردد على أسماعه دون تراجع تعبير "بلدكم دى بنت الكلب"، وكأنها ليست بلدك يا محمد، لا بد أنك تحبها جدا، لدرجة أنك تقول هذا هكذا باستمرار، ثم على قدر علمى هى لم تطردك أنت بالذات حتى لو كانت طردت غيرك من الشباب (إذْ كنْتَ شابا)

احتراما لمحاولتك سوف أقتطف بعض ما قلت تعقيبا على ما تراءى لك من مقالات، لأننى لا أستطيع أن أنشره كله، أو أرد عليه، ربما يصلح فيما بعد فى باب "المحررون والضيوف " الذى هو تحت الإنشاء (مجلة الإنسان والتطور: إلكترونيا) كما تلاحظ فى الموقع . واسمح لى أن أتجاوز الشكل الذى كَتَبْتَهُ به، حيث أنك كتبت كل فقرة فى سطر مستقل، على يسار الصفحة، فاستبدلتُ أنا ذلك بشُرَطٍ تفصل بين الكلام.

(1) عنوان المقالة...: ("يا خبر لعله خير") يوم 4-9-2007

التعليق.....
إلا ليعبدون
يعبدوني
أي يعرفوني
فأن تعرف الله
وأنت علي الأرض
هو ألا
يفتر قلبك

/ عن الحمد/ فالقلب يحمد/ الله أنْ جَعَلَه/ يبصر " /فإنها لا تعمي/ الأبصار/ ولكن تعمي / القلوب التي / في الصدور "\ ولكن كيف؟؟؟/ أ ن تحب الله/ فيحبك/ ألا تشرك/ بقلبك/ فتصبح ربانيا/ أن توقن / أنك لن تشقى/ فلا تشقى!!!/ أن يكون قلبك/ معلق بالله/ الواحد الأحد/ أن توقن / أنك / لن تظمأ فيها/ ولن تضحى/ أن تعيش/ بين يدي/ الرحمن/ الذي خلق/ الانسان/ علمه البيان/ وأن توقن أن/ النجم والشجر/ يسجدان/ وأن ألأرض /وضعها للأ نام/ فيها فاكهة/ والنخل ذات الأكمام/ والحب ذو العصف/ والريحان/ وأنه/ رب المشرقين/ ورب المغربين/ وأنه مرج البحرين/ يلتقيان/بينهما برزخ/ لا يبغيان

....

وأن كل من عليها فان/ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام.

***

(2) عنوان المقالة ...: ("العلاقة مع الآخر"يوم 26 - 9 -2007)

التعليق .....
الدائرة
الولادة
ولادتان
ولادة اللحم

بعد غربة/ الظلمات الثلاث/ الي غربة الوجود / كله !!! /فاذا صدق البحث/ انكشف

السبـــــــت 29-09-2007

29- إبـــــداع الشخـــص العـــادى، وإبـــــداع المـــرأة !!

وجدت هذه الوريقات بين أوراقى هكذا ، وبحثت عنها فيما نشر لى فلم أجده بهذا التركيز الواضح، فقلت اقدمها لقرائى الجدد فى الموقع، لعل:

تفرقة بين إبداع الحياة اليومية والناتج الابداعى:

كلما ذكرت مسألة الإبداع قفزت إلى السطح أسماء ديستويفسكى وأينشتين ونجيب محفوظ وجميل شفيق وجميس جويس وصلاح جاهين، وعشرات بل مئات من قادة الفكر والعلم والفن والتشكيل، حسنا، ولكن هل هذا هو كل الإبداع؟ وهل يختص صفوة من الناس أن يكونوا هم المبدعون وأن يتولوا عن سائر الناس مهمة الدهشة والتجديد والمراجعة وكأنهم يقدمون "وجبات جاهزة" لبقية البشر تحمل لهم احتياجاتهم من الجديد والجميل؟

إن الأمر ليس هكذا تماما، بل إنه ليس هكذا أصلا، ذلك أنه حتى المبدع من الصفوة لا يخاطب الناس باعتبارهم أوان فارغة تحتاج إلى الملء، وإنما يكتب المبدع أو يشكل أو يكتشف نظرية أو يمسرح، والناس يشاركونه عملية الإبداع بإعادة إبداع ما أنتج، من خلال التلقى المتميز لناتج ما فَعَلْ، وحتى ونحن نحترم حقيقة أن المبدعين هم الصفوة القليلة، وأن حضارة أمة وإسهامها فى المسيرة البشرية إنما تقاس بعدد مبدعيها من هؤلاء الصفوة، فإن هذا العدد يزيد حتما بزيادة القاعدة العريضة من المبدعين عامة، أى من المبدعين العاديين، المبدعين الغُفل، وهكذا، (تماما مثلما تكون قوة الفريق القومى لكرة القدم – مثلا- مرتبطة بعدد عشرات أو مئات الألوف الذين يمارسون كرة القدم فى المدارس والساحات والشوارع والنوادى الصغيرة)

إن الإبداع هو عملية إعادة تشكيل المعلومات الكامنة والواردة بحيث تصاغ فى تنظيم جديد يضيف إلى الوعى مايعيد صياغته ويحافظ على حيويته، وقد يخرج من هذه العملية ناتج إبداعى متميز (وهو ما أشرنا إليه من ناتج عطاء الصفوة المبدعة) **أو قد يحقق استمرار طزاجة وحركية الوعى على طريق النمو والتطور الجمعى أو الفردى.**

(1) القدرة على **إعادة النظر** فى ما استقرت عليه الأمور (ولو مجرد إعادة النظر دون تغيير)

(ب) إمكانية **تجدد** نوع "إدراك" الطبيعة المحيطة من ناس وأشياء.

(ج) الحفاظ على قدر مناسب من **الدهشة** حتى بالنسبة للأفكار والمعلومات القديمة

(د) تحمل تذكر الحلم (**بتخليقه فورا**) أثناء نقلة الاستيقاظ، ثم تحويره تلقائيا أحيانا.

(س) القدرة على عمل علاقة **مع مجهول من الناس** والأشياء **دون معرفة مسبقة.**

(و) القدرة على قراءة الكتابات الراتبة (الروتينية) **وكأنها تحوى جديدا يستأهل** الصحف اليومية مثلا.

(ز) القدرة على **تجديد علاقة الإنسان بالدين، وبالشعائر، من حيث طعمها وتوظيفها،** وليس بالضرورة من حيث رتابتها وإلزامها

(ح) القدرة على **التراجع المدروس عن آراء ومعلومات كانت تبدو مقدسة.**

(ك) القدرة على استيعاب **استعمال أدوات جديدة لأغراض قديمة** (مثل استعمال الكمبيوتر الشخصى، بما فى ذلك شبكات الاتصال أو استعمال مستحدثات أدوات الزراعة، أو تعديلات التصنيع... الخ).

(ل) القدرة على **تحمل الاختلاف، مع الحفاظ على قدر حقيقى من احترام الخصم المخالف** واحتمال الاستفادة منه.

وبعـــد

إن تحقيق هذه المرونة مع استعمال أبجدية المعارف الموضوعية لابد وأن يسمح بتكوين قاعدة عريضة من العقول النشطة الحركية القادرة على التشكيل المتجدد، أكثر من تكوين عقول لامعة تحتوى معلومات مصقولة تكاد تصبح مقدسة من خلال الثبات والجمود.

إبداع المرأة

من خلال هذه المقدمة يمكن إعادة النظر فى الزعم القائل إن المرأة مقارنة بالرجل ليست - إحصائيا - مبدعة، نابغة بصفة عامة وفى المجال العلمى خاصة، هذا ظلم لها ولحقيقة دورها وللإضافات الإبداعية الأصيلة التى تمارسها من قبل ومن بعد. ويمكن مراجعة هذه المقولة بالنظر فى بعض المحاور التالية:

أولا: ليس معقولا أن تكون المرأة هى نصف البشرية ثم يكون **ناتجها** الإبداعى (وليس إبداعها) بهذه الضآلة مقارنة بناتج الرجل الإبداعى..

ثانيا: لايكفى لتفسير هذه الندرة فى الناتج الإبداعى للمرآة أن نكتفى بذكر كيف أن فرصها أقل، وأن وقتها أضيق وأن أدواتها محدودة ، وان قهرها أكثر سحقا ... إلخ،

ثالثا: لايجوز أن تُستدرج المرأة إلى أن ترضى بدورها البيولوجى إبداعا لحفظ نوع البشر ، لا شك أنه دور رائع بطبيعته، فالمرأة هى التى تحمل وتلد، لكن كل الثدييات هكذا، والمرأة كائن بشرى له ما يميزه عن سائر المملكة الحيوانية، وبالتالى فإن هذا الزعم هو أقرب إلى الاستهانه أو الإهانه وكأننا نرشو المرأة أو نلهيها للاكتفاء بدورها فى الحمل والولادة

رابعا: يترتب على ذلك أن يسقط القول بأن فرط الناتج الإبداعى للرجل هو انطلاق من ظاهرة أو عقدة **"حسد الرحم"**،uterus envy (مقابل **حسد القضيب** penis envy عند المرأة كما يزعم فرويد) إن ثم فرضا يزعم أن الرجل إذ يفتقد دورا أساسيا فى الإبداع البيولوجى إنما يمارس الإبداع ناتجا ماثلاً من واقع افتقاره إلى الحمل فالولادة، وبالتالى هو يبدع بإفراط لتعويض هذا النقص. وحتى على فرض صحة هذا الفرض، فلا ينبغى أن يستعمل كحق أريد به باطل، وهو إعاقة المرأة ونصحها بالتنازل عن حقها فى الإسهام فى إعادة تشكيل الحياة وكشف خفاياها إبداعا فى سائر مجالات الوجد ، ذلك أن مسار الإنسان لا يقف عن حفظ النوع وإلا فما الذى يميزه عن سائر الأحياء، وإنما يمتد ارتقاء الإنسان وتطوره إلى حفظ النوعية وهى الصفات التى يتفوق بها على سائر الأحياء، ولابد من التأكيد على دور كل من الرجل والمرأة على حد سواء فى مسار تطور الوعى البشرى بما هو بشرى، وليس مجرد دور كل منهما فى الحفاظ على استمرار بقاء النوع .

إن من أهم ما يميز الإنسان هو أنه كائن مبدع فى ذاته بذاته،

- وكلما كان داخل الانسان (بما يشمل نقائض ظاهره) أقرب إلى التناول والتحريك والتشكيل من خلال وعيه الظاهر، كان الإنسان مبدعا.
- وكلما كانت مساميّة الإدراك عند الشخص أكثر رحابة كان الانسان مبدعا.
- وكلما كانت مرونة الفعل لديه أكثر طواعية كان الإنسان مبدعا.

خلاصة القول فى هذه المقدمة:

(1) إن المرأة حرمت من الاعتراف بفضلها فى إبداع كل من الحياة والوعى البشرى.

(2) وأنها تتحرر بقدر ما تبدع، وتبدع بقدر ما تتحرر.

(3) وأنها ليست أقل من الرجل إلا فى الفرص والمساحة المتاحة للحركة وتنمية القدرات.

(4) وأن تحررها بتكاملها الذاتى مع الرجل، وبه، هو السبيل لتحرر الرجل وليس فقط تحررها على مسارهما المشترك.

الأحـــــــد 30-09-2007

30- الصوفيـــــة والفطـــــرة والتركيـــــب البشـــرى

كتبت مرارا أنى تعلمت وأتعلم من المبدعين، وخاصة من مبدعى القص والرواية، ماهية النفس البشرية، أكثر مما أتعلمه من كتب التخصص، كما أتعلم من المرضى ما يرجح هذا الرأى كل يوم أكثر فأكثر، وقد وصل بى الأمر أن أتحدث عما أسميته **"التفسير الأدبى للنفس"** فى مقابل المفهوم الشائع **"التفسير النفسى للأدب"**، وقد صدر لى هذا العام كتاب **"تبادل الأقنعة"** عن قصور الثقافة ليفيد هذا المعنى تفصيلا.

اليوم، -هنا- أتقدم خطوة إلى نوع آخر من الإبداع، وهو إبداع الذات فى خبرات التصوف، إذ يبدو أنى سوف أكتشف فيه أكثر وأكثر **ما يهدينا إلى طبيعة "ما هو نحن"، حالة كوننا نسعى إلى ما هو "هو".**

أشرت كثيرا، لست متأكدا إن كانت الإشارة أيضا قد وردت فى هذه اليومية أم لا ، إلى ذلك السفر الضخم الذى قامت بتأليفه تلك الألمانية الرائعة **"آنا ماري شيمل"** بعنوان **"الأبعاد الصوفية فى الإسلام ، وتاريخ التصوف"** (منشورات الجمل: كولونيا بغداد 2006، ترجمة محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب 2006)، والذى يربو عن خمسمائة صفحة من القطع الكبير. لقد فوجئت بهذه الثروة الموثقة، بقدر ما فوجئت بروعة الموضوعية والحب الذى كتبت به الكتاب هذه المتصوفة (حتى لو تكن تدرى أنها كذلك).

(تحذير مبدئى: أعلم مدى الغموض الذى يمكن أن تتصف به كلمة اليوم، ليس فقط لأنى أتهم كثيرا بالغموض ولكن لأن لغة التصوف والمتصوفة هى غامضة بالضرورة، فمن لا يريد أن يعرض نفسه لهذا العنت، أو يعرضنى لهذا الاتهام، فليكتف بقراءة الأغنية للأطفال فى شكل دبالوج بين طفل وأخيه وقد رأوا الله من خلال الحفاظ على الدهشة، وكأنها الخبرة الأولى التى ينميها المتصوفة حتى بعد نهاية العمر، ونشوهها نحن بكل ما نستطيع، بما فى ذلك بسوء فهمنا لرسالة الدين وسوء تفسيرنا للوحى الإلهى)

... حول المنهج

أرفض التفسير العلمى للنصوص المقدسة جملة وتفصيلا،

مع أننى كثيرا ما أربط بين بعض هذا وبعض ذاك، لكن بالمعنى الذى أحب أن أسميه **"المعرفة الموازية المتضفرة"** أى المعرفة التى تضىء نفس المنطقة من زوايا مختلفة، كل بلغته وأدواته، بحيث لا تكون أية منظومة هى مرجع المنظومة الأخرى، وإنما تساهم فى الإنارة، كما تقوم بالكشف، بالتكامل معا، ليقولوا نفس الحقيقة **"تقريبا"**، فتجتمع الرؤى ويتسع الوعى، وتحتد البصيرة.

... حين قرأت بعض مواقف النفرى، قراءة منهجية تقليدية، اعترض ابنى محمد (الذى يحب النفرى ومواقفه حتى يكاد يحفظها، أو حتى يعيشها) على منهجى هذا، وعند حق، لكننى حين قرأ إبنى (ليس من ظهرى) د. إيهاب الخراط بعض **"مواقف النفرى بين التفسير استلهاما"**، فقرأت نفس المواقف **(قراءة على قراءة)** ونشرناهما معا، كانت المحاولة أنجح لأنه وأنا تجاوزنا أية مرجعية علمية تبرر ما استلهمناه من مولانا النفرى، على اختلاف ديننا، فإبنى هذا مسيحى إنجيلى قس، وطبيب نفسى.

فليضع القارئ كل ذلك فى الاعتبار من البداية (لو سمح)

ماذا أفعل هنا الآن؟

انا أقتطف من هذا السفر الضخم، كتاب مارى شيل ما يبين لنا حقائق أعمق وأهم مما فرضها علينا علم النفس التقليدى، والتحليل النفسى، والطب النفسى التقليدى أيضا (اللهم إلا بعض ما ذهب إليه كارل جوستاف يونج، وبعض اتجاهات ما يسمى علم النفس التجاوزى، أو علم النفس عبر الذات (Transactional Psychology)

برغم كل هذا التحذير أشعر أن القارئ، خصوصا قارئ هذه اليومية قد يتلقى ما أسميه استلهاما لبعض النصوص الصوفية التى وردت فى كتاب "شيمل" على أننى أفسر رؤية صوفية بلغة علمنفسية. إننى مهما نفيت هذا التوجه، فإننى لا أعرف سبيلا لتجنبه على أية حال، إلا تكرار مثل هذا التنبيه.

سوف أكتفى هذه المرة بفقرة عابرة (مع أننى أعد أن أعود إلى الكتاب كثيرا، ففيه منهل بلا نهاية لما أود توصيله من خلال هذه النافذة)

المقتطف ص 219

"..وإن رأى الجنيد"..إثبات ذات الله من خلال العدم أفضل من إثباتها من خلال الوجود يجعل ماسينيون يستنتج أن العقيدة الإسلامية تميل بشكل عام إلى إثبات ذات الله من خلال الهدم أكثر من إثباتها من خلال البناء" - النفس يجب أن تنكسر، والجسد يجب أن ينكسر، والقلب يجب أن ينكسر، كل شىء فيه يجب أن يحطم حتى يبنى الله فيه سكنا جديدا له ..."

وتستشهد المؤلفة بالعطار أيضا: فى كتابه "اشترنامه"

" ... إن لاعب العرائس يكسر الدمى التى استخدمها، يردها إلى صندوق الوحدة .."

نتوقف هنا لنتأمل هذه "العملية" البالغة الدقة والمخاطرة

فى تفسيرى للدور الإيجابى **لغريزة العدوان فى الإبداع**، قلت إن أى إبداع يبدأ بتحطيم الجمود القائم، وأن هذا التحطيم يحتاج طاقة اقتحامية مغامرة حتى يحقق تفكيك الأصنام الساكنة، وأن ذلك يتبعه أن يجمع المبدع من الشظايا والبقايا ما يؤلف به أبجدية جديدة، وأدوات جديدة ، ليقيم تشكيلا على غير مثال ما كان، **فالهدم** هنا مستمد من الجانب الإيجابى لغريزة العدوان، وبالتالى نفهم معنى الكسر الذى يقول به الجنيد أو العطار بمعنى غير العدم الذى يفاجئنا به ماسينيون صادما.

إن مرحلة الكسر إذا توقفت عند الهدم أو التحطيم، فهو التناثر الجنونى، أو القتل، أو العدم، أما إذا ما تمادت إلى مرحلة التشكيل اللاحقة: بالعلاج ذى التوجه النمائى (فى حالة المرض)، أو بالإنتاج الإبداعى (فى حالة أى مبدع يخرج إبداعه ناتجا بلغة العلم أو اللون أو الحكى أو والشعر أو تشكيل الزمن: الموسيقى أو غير ذلك) فإن الناتج يكون ما أبدع،

هنا فى حالة الصوفى يتم ذلك بكسر ما سك نفيه وبه، سعيا إلى وحدة أكبر، ويظل الكسر يتمادى فى كل الثوابت **"النفس والقلب والجسد"** فهى إذا ما ثبتت أعاقت الحركة إليه، لكن الكدح المتواصل لابد أن **"يرد الدمى إلى بعضها فى صندوق الوحدة"**، وهو ليس صندوقا مغلقا وحيدا، لكنه هو ذاته صندوق جاهز للكسر ليعاود انضمامه إلى وحدة أكبر وأكبر، وهكذا بلا توقف ولا نهاية.

هذا التوجه المتواصل الحيوى النابض، يعيد تخليق الذات إلى ما تعد به فطرته دون أن تتحقق أبدا، طالما نحن على قيد الحياة.

ربما هذا ما يشير إليه الجنيد فى قوله **".. إثبات ذات الله من خلال العدم أفضل من إثباتها من خال الوجود"**، العدم هنا ليس العدم السلبى الذى نعرفه، لكنه العدم يعنى أنه إعدامنا للثابت الذى يحول دون حركية المعرفة المتواصلة، هو العدم الذى يتخلق منه ضده ليصبح وحدة أكبر فعدما أنشط، وهكذا، هذا الامتداد المتصل هو أقرب عندى لقراءة معنى **"..الإيمان بالغيب، لا الانعدام فى الغيبوبة"، ومن ثم مواصلة السعى إليه.."**

أما الجزء الثانى من استشهاد ماسينون بالعطار **".. كل شىء فيه يجب أن يحطم حتى يبنى الله فيه سكنا جديدا له ..."** فعلينا أن نتأمل "كيف يبنى الله فينا سكنا جديدا، وذلك حين نتذكر معنى الحديث القدسى "..حتى **صرت سمعه الذى يسمع به،**

وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها " أنا لم أقرأ **"يبنى الله فيه سكنا جديدا"** بمعنى **"فى القلب، وهو آخر ما ينكسر"**، وإنما قرأته بمعنى تخليق الواحدية المتنامية (الوعى الفائق دائم الاتساع) وهو ما وصلنى من الحديث القدسى.

الصعوبة تكمن فى تلك الأبجدية التى يستعملها المتصوفة، فمن ناحية نرى أن **نفس اللفظ:**

(1) لا يعنى نفس المعنى عند مختلف المتصوفة (خذ مثلا لفظ: النفس أو القلب)

(2) ومن ناحية أخرى فإن نفس اللفظ ليس له - بالضرورة - نفس المعنى الموجود فى المعاجم.

(3) ومن ناحية ثالثة فإنه ليس له نفس المعنى (بل قد يكون له عكس المعنى) إذا استعمل فى مجال العلم التقليدى، أو حتى العلم الأحدث، أو الفلسفة.

فإذا أضيفت إلى كل ذلك إشكالة الترجمة (هنا من الالمانية إلى العربية) فخذ عندك (مع أن المترجمين الفاضلين قد اجتهدا بشكل رائع فى الرجوع إلى النصوص الأصلية ما أمكن ذلك).

لماذا أكتب كل هذا فى يومية تصدر للناس كل يوم فى موقع عام؟

لكن من قال إنه موقع عام، هو موقع متاح لأى أحد،

لا أعرف هل هو ميخائيل نعيمة الذى قال ما سوف أستشهد به حالا أم غيره، قال: **"كرمى على درب، فيه العنب وفيه الحصرم، فما أعجبه منه فكله، وما لم يعجبك فدعه"**

إن التصوف، مثل الدين والفن، كوسيلة للمعرفة قد يكون أقرب إلى وعى عامة الناس من تقعر العلم وأرقام المعلومات،

أن **"تعرف"** غير أن **"تتعلم"** غير أن **"تحصل على المعلومات"** غير **"أن تحفظها"** غير أن **"تسمّعها"**، فما بالك إذا كانت وظيفة مناهج التربية والتعليم المعاصرة، وخاصة عندنا، هى أن تلغى كل قنوات المعرفة الأخرى لتجعلها حكرا على جزء من العقل الذى لا يخدم إلا القتل والاستهلاك والمدنية الشكلية، دون الحضارة والتكامل والتطور؟

العلاقة بين الصفوة والعامة

المبدع صاحب الناتج الإبداعى، و المتصوف صاحب اللغة الخاصة، والخبرة الخاصة، والطريقة الخاصة، والرؤية الخاصة، التى لا يصرح للكثير منهم بالحديث عنها للعامة هم من الصفوة بلا شك، أو على الأقل من خاصة الخاصة. أليس كذلك؟

هل معنى ذلك أنه لا يعرف الله سبحانه، هكذا، ولا يبدع ذاته بهذا الكسر فالاتساع فالسكن، ولا يكشف المعرفة الأعمق إلا الصفوة؟ طبعا لا، إذن ما الحكاية؟

هؤلاء العارفون من الصفوة لا يبتدعون جديدا فى النفس

وعلاقتها بالكون إلى وجه الله، هم لا يأتون بجديد من عندهم، إنهم - فقط- قد وهبوا القدرة على أن يمارسوا قوانين الفطرة بعمق أرسخ، وخبرة أعمق، ثم تمكن بعضهم بما تيسر له من لغة فى المساحة التى سمح لنفسه أو سُمح له أن يعبر عنها أن يوصل بعض خبرته.

الطفل والفطرة والإيقاع الحيوى

يولد الطفل وعنده كل هذه الآليات: **"للكسر" و"إعادة البناء" و"التسكين"** طول الوقت، يحدث هذا بقوانين نمائية وبيولوجية أهمها قوانين **الإيقاع الحيوى المجدد والمتجدد**، نحن حين ننام، ونحلم (الحلم الحقيقى، لا الحلم المحكى) لا نفعل إلى أن نهدم لنبنى، نموت لنحيا، نحطم لنسكن، ونلم الناتج فى صندوق اليقظة المتجدد، إن دعاءى النوم واليقظة فى دينى لا يقول شيئا غير ذلك، المسلم حين يضع جنبه لينام يقول (المفروض يعنى) **".. باسمك ربى، وضعت جنبى، وبك أرفعه، اللهم إن قبضت نفسى، فاغفر لها، وإن أرسلتها، فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"**، هذا التوجه إلى وعى النوم هو محو (كسر) لوعى اليقظة من ناحية، واستسلام لمجهول هو أحد ذراعى الإيقاع الحيوى من جهة أخرى، حيث يتواصل الإيقاع الحيوى أثناء النوم بتواصل نشاط الحلم (عشرون دقيقة كل تسعين دقيقة بانتظام نوبى محكم)، **أثناء هذا النشاط المسمى حلما يتم التكسير وإعادة الترتيب فى صندوق وحدات أكبر**، حتى يصبح النائم شخصا آخر وهو يقول دعاء الاستيقاظ **"الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى وإليه النشور"**، ياه!!! إلى هذه الدرجة تتجلى علميات العدم والتخلق فى وعى المؤمن إن صدق مع خبرته، وهى هى ما يتجدد بوعى منتج عند المبدع، وهى ما هى ما يعيد تشكيل ذات/ذوات المتصوف فيعرف ويواصل.

لا فرق بين ما يحدث عند الشخص العادى، وبين ما يحدث عند هؤلاء الخاصة، إلا درجة ونوع الوعى بها، وطرق التعبير عنها. الشخص العادى لا يعيها إلا ناتجا وتسليما بسيطا بوجود الله الذى لو حاولتَ أن تثبته له كما يفعل الكلاميون لرفضك بفطرته ربما حتى العنف. هل هذا هو إيمان العجائز؟ يجوز، وهو أقرب إلى إيمان الأطفال، لكن لا إيمان العجائز ولا إيمان الأطفال هو ما يميز الإنسان بروعة ما وصل إليه من **"الوعى والوعى بالوعى"**،

إننا نتعلم من الصوفية، كما نتعلم من المبدعين، أضعاف ما نتعلم من المتكلمين ، والممنطقين، فى هذه المناطق الوجودية التى هى فى النهاية ما يميز الإنسان ممثلا لله، ومعمرا أرضه، وساعيا إلى وجهه فردا وجماعة ونوعا.

آسف

ولكن ماذا أفعل؟

أحيانا أشعر أن هذا الكلام شديد البساطة - أى والله- فأنسى نفسى وكأنى لا أعلم ما آلت إليه أقفال العقول التى

أغلقت بمنظومات علمية سطحية، أو دينية مؤسساتية، فأرجع للأطفال أخاطبهم ، فأجد خطابهم أسهل، وأنا واثق أن إدراكهم أبسط وأعمق معا

نقرأ معا هذا الديالوج بين طفل وأخيه بعد ما فرحوا أنهم بحفاظهم على حقهم فى الدهشة، عرفوه بشكل تلقائى وهم يسخرون من الكبار، لعل فيه ما يغفر لى عند القارئ الذى لابد وأنه لعننى وهو يتهمنى بالغموض إن كان قد صبر حتى قرأ الموضوع إلى نهايته.

الدهشة:

طريق إلى الله!

* شفت يابنى البرتقانة
– شفتهاَ
* بس دى مش برتقانةْ
– أيوهْ عارفْ.
* تبقى إيهْ ؟
– تبقى هيّهْ البرتقانهْ
* يعنى إيهْ ؟
– يعنى هيهْ زى دكهْ، بس لأ: مش زى دكهْ.
* ما انا عارفْ، بس قول لى: يعنى إيهْ؟
– يعنى تِسْكتْ.
* طبْ سكتْ.
– إنت ساكتْ وانت عارفْ! ولاّ خايف إنّى شايفْ؟
* ما انت عارف إن خوفنا ماجديد، هوّا بيقرب لنا الحاجة البعيد
– قومْ تشوفْها ازاىْ بقى؟
* قوْم أشوفها جوّا منى، بس برضُهْ برّه عنى.
– يعنى إيه؟
* يعنى اشوفها كل مرّة زى ما أكون باخترعها
– يعنى إيه ؟
* جرى إيه!! ! هوَّا انا "بابا" قُصادك؟
– هوّا بابا بيعمل ايه؟
* بابا بيجاوب عليّا قبل ما اسأل أى حاجة.
– يعنى إيه ؟
* لسّه برضه تقوللى تانى "يعنى إيه"!!
– تيجى يابنى نقول لبابا "يندهش" كدا زينا
* لأ يا عم
– لأه ليه؟
* بابا لو إنه "اندهش" حايطب "ساكت"
– يانهار اسود
* لأ، ولسّه....
– لسّه إيه ؟
* لأ ،.. خلاصْ.
– ما خلاصشى لسّه.
* أيوه فعلا، طول ما إحنا "بنندهش" "ما خلاصشى لسّه"،
– يا حلاوة.

* ياحلاوهْ لو بقوا كدا زيّنا !!
ـ هُما مين؟
* هما كل الخوّافين
ـ يعنى مين؟
* إللى "بيجاوبوا" يِـدَال ما يشوفوا إحنا شفنا إيه
ـ وانت عايز منهم ايه؟
* يعنى لو سمحوا كدا كام حبّة نونو، كنا نكبر زى خلقةّ ربنا
ـ آه صحيح، يبقى ممكن إننا.. ...، ولاّ بلاش
* خُفت ليه؟
ـ أصل انا كنت حاقول : كنا ممكن إننا نشوف ربنا، قصدى يعنى نحبّه جدا.
* يعنى إيه؟
ـ إللى يعرف يندهش يوصلّه فعلا
* لما يبقى حـــر جدّاً، مش كده؟
ـ حر تانى !!!!؟
* قصدى يعنى زى ما قلنا هناك
ـ قول ياربّ
* بس حاسبْ يسمعونا
ـ طبْ خلاصْ

سبتمبـــــــــــر 2007 : أسبـــوع 4

جميع الحقوق محفوظـة للمؤلـف 2007

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي

الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها واشرف عليها و مشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباثولوجى (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباثولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام- ترحالات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجهر -) ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعرى الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويا مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007